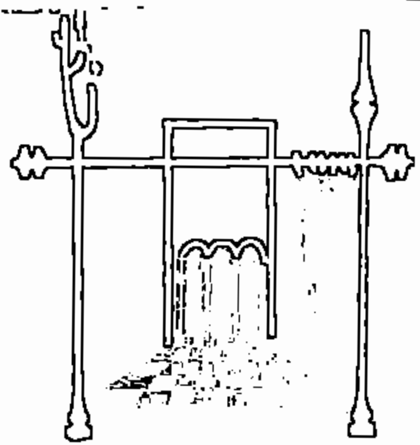


أهمية أن يكون الإنسان جاداً

أوسكار ويلد

عصره ـ أساتذته ـ فنه ـ انتاجه المسرحي

حتى مسرحيته :

أهمية أن يكون الانسان ارنست

كان أوسكار ويلد نغمة « نشازا » فى العصر الذى وجد فيه ؛ وحسبنا أن نذكر أنه وجد فى العصر الفكتورى لندرك مدى التفاوت الشديد بين الانطلاق الذى لا يعرف الحدود والقيود والسدود ، وبين الجمود الشديد الذى كان يحنى ظهره ذليلا خاضعا لجميع الحدود والقيود والسدود . لقد كان العصر الفكتورى فى تاريخ انجلترا فترة طويلة امتدت من سنة ١٨٣٠ حتى آخر القرن التاسع عشر . وفى السنة الأخيرة من هذا القرن بالذات : أى سنة ١٩٠٠ .. وهى الفترة التى فرضت فيها الملكة فكتوريا شخصيتها وآدابها وتقاليدها على البلاد البريطانية .. وكانت هذه الشخصية وتلك الآداب والتقاليد تتمثل بكل جمودها وقسوتها فى تلك الشخصية الرمزية الخرافية التى أطلق عليها علماء المجتمع : « مسز جراندى » تلك السيدة التى كانت لا تنفك تمسك بعصاها تشوى بها ظهور من يخرجون على العرف الفكتورى والتقاليد الجامدة الفكتورية ،

وآداب المجتمع العتيق الذى طبعته الملكة فكتوريا بطابعها الجدى المحتشم ، الطابع الذى يؤثر مظاهر التأنق والتمسك بأهداب اللياقة فى كل شيء .

كان أوسكار ويلد نغمة « نشازا » فى ذلك العصر الفكتورى المتحذلق ؛ كما كان لورد بيرون (١٧٨٨ — ١٨٢٤) وپرسى بيش شللى (١٧٩٢ — ١٨٢٢) نغمتين ناشزتين فى الأيام التى سبقت العصر الفكتورى تماما .. كانا نغمتين ناشزتين لأعمال النشوز والشذوذ التى كانا يقدمان عليها ويغيظان بها المجتمع ، ويثوران بها على العرف ، ويضربان فيها بآداب اللياقة عرض الأفق ... ولعل الذى يتأمل فى تاريخ أوسكار ويلد يدرك أنه امتداد لحياة هذين الشاعرين وما كانا يقارفانه من ألوان النشوز والشذوذ .

لقد كان العصر الفكتورى عصر تحول كبير فى كل شيء .. تحول من الزراعة التى كان عليها جل اعتماد الشعب الانجليزى فى أمور معائشه ، الى الصناعة التى أصبح الشعب الانجليزى يتقدم فى ميدانها على جميع شعوب العالم ، ويستولى بها على أسواق الدنيا كلها ، ويثير من أجلها الحروب كلما نافسه فى ميدانها منافس . وبالرغم من الاشراق العلمى والفلسفى

والاقتصادى والمسرحى والاجتماعى الذى بدأه كل من دارون (١٨٠٩ — ١٨٨٢) وهربرت سبنسر (١٨٢٠ — ١٩٠٣) وكارل ماركس (١٨١٨ — ١٨٨٣) وابسن (١٨٢٨ — ١٩٠٦) على التتابع ، فقد كان الأدب الانجليزى فى ذلك العصر الفكتورى يتسم بميسم الصنعة ، ويؤثر الشكل على المضمون ، ويفضل أناقة الألفاظ والأساليب المصقولة على الرسالة الهامة التى يجب أن يحملها الأدب الموضوعى الى أذهان قرائه ... ولعل الذين يغرمون بقراءة المؤرخ ماكولى (١٨٠٠ — ١٨٥٩) أو القصاصين سكوت (١٧٧١ — ١٨٣٢) وثاكرى (١٨١١ — ١٨٦٣) وبقية كتاب وشعراء العصر الفكتورى لا يغرمون بقراءتهم الا لما يمتيزون به من الأناقة فى التعبير وما يعرف عنهم من طلاوة الأسلوب وتخير العبارات والألفاظ .

لقد كان التيار العلمى الذى هز التفكير العالمى فيما بعد ، والذى أحدثته نظرية التطور ونشوء الأنواع التى خرج بها دارون على الناس لا يزال تيارا ضعيفا لم يتسرب الى الأدب ؛ وكذلك كان تفكير هربرت سبنسر العلمى البحث الذى لم يكن يؤمن الا بالعلم وحده ، ولا يؤثر على المادة الملموسة المحسوسة شيئا ... وهكذا كانت أفكار كارل ماركس فى دنيا الاقتصاد لا تزال بمعزل عن عالم الأدب ، بل كانت انتفاضة الشاعر

سوينبرن (١٨٣٧ — ١٩٠٩) على العقائد الدينية تثير رجال الأدب الفكتورى وتقيمهم وتقعدهم لا لشىء ولغير سبب من الأسباب الا لأن الذى يجهر بها أديب وشاعر ، وان كان جهره بها أقل شأنا مما جهر به بيرون وشللى من قبل .

فى هذا الجو الفكتورى ولد أوسكار ويلد (١٨٥٦—١٩٠٠) الذى قضى حياته [١] كلها فى حمأة أغرب العصــور الانجليزية كلها وأشدها تزمتا ووقارا مصطنعا .. وقـــد ولد من أبوين متحررين تقدميين .. أحدهما طبيب عرف باستهتاره بالتقاليــد الفكتورية . وولوعه بالحيــاة الحسية التى تنشــد الاستمتاع بلذائذ الحياة وغشيان أندية الطبقــة الراقيــة من المجتمــع الايرلندى ... والأخرى أم أديبة كاتبة ثائرة أسهمت بنصيب ضخم فى الثورة الأيرلندية المطالبة بالحرية والانفصـــال عن انجلترا ... وقد ورث أوسكار جميع سجايا أبويه .. ثم زاد على هذه السجايا وضاعفها ... زاد على استهتار أبيه وعلى ميوله البوهيمية .. وعلى حماسة والدته وهيامها بالمظهر الأنيق والزينة المبهرجة .

والتحق أوسكار بجامعــة دبلن وبرز فى الآداب اليونانية

---

(١) يجمل بالقارىء الرجوع الى العدد الرابع من مجموعة روائع المسرح العالمى للوقوف على الترجمة المفصلة لحياة الكاتب وهى بقلم الصديق : عبد الرحمن صدقى .

واللاتينية بها ، ثم التحق بجامعة أوكسفورد ، واشتهر بين طلبتها بأناقته الشاذة وملابسه الغريبة التى تلفت الأنظار وتدعو الى القيل والقال . كما اشتهر بمقدرته على الكتابة ونظم الشعر ، وقد نال عددا من الجوائز التى دلت على نضج أدبى مبكر

على أن هذه المراحل التعليمية كلهـا لم تكن من الأثر فى أوسكار ويلد بالقدر الذى أثرت فيه قراءاته الخاصة لأساتذته الحقيقيين من قادة الثورة على جمود العصر الفكتورى .. وفى مقدمة هؤلاء الكاتب الناقد القصاص الانجليزى المشهور وولتر هوريشيو پاتر W. H. Pater (١٨٣٩ — ١٨٩٤)الـذى اشتهر فى دنيا الأدب والفن بحضه للفنانين والأدباء على التمسك بالمثل الأعلى للجمال ، والحرص كل الحرص على روعة الصورة، والذى كان نثره يتميز باللوذعية وجودة الصقـل ، ويفيض بالفكاهة والرشاقة . ومن أشهر مؤلفاته كتابه « دراسـات فى تاريخ عصر النهضة » ثم قصته التى تأثر بها ويلد غاية التأثر : « ماريوس الأبيقورى » وله كتاب ضمنه دراسات جيدة لطائفة من مشـاهير الكتاب منهم شكسپير ووردسورث وجوته . وكتاباه « أفلاطون والأفلاطونية » و « دراسات اغريقية » من الكتب التى تحمس فيها للحضارة اليونانية تحمسا شديدا ، مما كان له أثره العميق فى اتجاه ويلد اتجاها يونانيا حتى فى نواحى

النقص اليونانى وشغف اليونانيين بجمال الأجسام ، ولا سيما عشق الذكور لهذا السبب ، ممـا ورثه عنهم العرب فى العصر العباسى حينما جهر شعراؤهم وعلى رأسهم النواسى الكبـير يعيون شعرهم فى التشبيب بالغلمان المرد ، ومما كان فيه القضاء على ويلد فى أخريات حياته ، مما سوف نشير اليه اشارة خاطفة فيما بعد . وقد انضم پاتر الى جماعة أنصـار رجوع الفن الى ما قبل رفائيل التى سنورد فيما بعد قليل كلمة موجزة عنها ... كما كان من محبذى الرأى القائل بأن يكون الفن من أجل الفن فحسب وليس من أجل أغراض أخرى . وقد قضى معظم حياته فى شبه عزلة علمية بجامعة أوكسفورد ، وهنـا توطدت أواصر الصداقة بينه وبين ويلد الذى افتتن بآرائه افتتانا . وموضوع پاتر الذى كتبـه عن لوحة مونا ليزا للفنـان الأكبر ليوناردو دافنشى هو من الموضوعات التى لا يزال يقدسـها جميع من يكتبون عن الفن ولا ينفكون يقتبسون الكثير من فقراتها .

أما أستاذ ويلد المباشر الثانى فهو العلامة السير چون پنتلاند ماهافى Sir. J. P. Mahaffy (١٨٣٩ — ١٩١٩) أسـتاذ التاريخ القديم بجامعة دبلن ، ومؤلف طائفة من الكتب الثمينة عن الآداب اليونانية والحياة عند اليونانيين القدماء ، ومن ذوى الأفكار المتحررة التى كان لها قيمتها فى حركة الدفع الثورى فى

أيرلنده ... وقد قوى فى تلميذه ويلد ميوله الأثينية فى عبادة الجمال الحسى والتحلل من التقاليد والقيم العقيمة التى لا يرضى عنها العقل .

ومن أساتذته أيضا المصور والناقد والكاتب الأسلوبى الثائر جون رسكن J. Ruskin (١٨١٩ — ١٩٠٠) ، وأحد أعضاء جماعة أنصار الرجوع بالفن الى ما قبل رفائيل ، والثائر على مقاييس العصر الفكتورى المادية ومعاييره الأخلاقية، والمعروف بميوله نحو فنون العصور الوسطى ، والمشهور بأسلوبه المنمق المتين ومؤلف : المصورون المحدثون Modern Painters ؛ ومصابيح العمارة السبعة وأحجار البندقية الذى ينتصر فيه لفن المعمار القوطى ويهاجم فيه فن معمار عصر النهضة الذى كان يسمه بأنه « طاعون الفن » .. وله كتب كثيرة أخرى كان يحاول فيها ماكان يحاوله وليم موريس من تهذيب الذوق الفكتورى فى نظرته الى الفنون . وقد تأثر ويلد بما كان رسكن يلقيه فى جامعة أوكسفورد بين الفينة والفينة من محاضرات عن الفنون المختلفة ، يدعو فيها جميعا الى ما كانت الجماعة المذكورة تدعو اليه من وجوب الرجوع بالفن الى الطبيعة ، والتحلل من القواعد الأكاديمية والمقاييس التى تشل أذواق الفنانين .

وممن تأثر بهم ويلد صديقه وأستاذه المصـــور الأمريكى جيمس آبوت ماكنيل وسلر J. A. M. Whistler ، الذى هاجر الى لندن واستقر بها وراح يحدث فيها دويا شـديدا حـول مشكلة الفن من أجل الفن ... وكان وسلر فنانا أصيلا خصيما مغرما بالجدل ولا يمل من الكلام .. وصورته عن والدته من أشهر الصور العالمية وله كتـاب طريف اسـمه : الفن اللطيف لطريقة اكتساب الخصوم The Gentle Art of Making Enemics كان من الكتب التى لها أعمق الأثر فى أوسكار ويلد .

أما أحب الشعراء الى ويلد وأشدهم أثرا فى أدبه وأسلوبه فهم مارلو وملتن وكيتس وتيـــــون وروستى Rossetti ووليم موريس Morris وسوينبرن وبرواننج . وقد أخذ عن سوينبرن تحـرره الدينى وعن موريس (١٨٣٤ — ١٨٩٦) تحمسه لدعاة الرجوع بالفن الى ما قبل رفائيل ثم عنايته بصقل أسـلوبيه فى النثر وفى الشعر على السـواء ، وغرامه بفنون اليونانيين القدامى وفتنته بأسـاطير أهل الشمال ... وقد كان موريس من أصحاب الأمزجة الفنية التى كان لها أكبر الأثر فى الارتقاء بأذواق الطبقة الوسطى من أهـل العصر الفكتورى واحداث الثورة فى طرز مفروشاتهم وملابسهم ... هذا فضـلا عن مجهوده الكبير فى تأسيس الحركة الاشتراكية فى انجلترا .

على أن لويلد أســـاتذة آخـــرين من غـــير الانجليز والأيرلنديين ... وأساتذة من الفرنسيين لا حصر لهم ، وان يكن على رأسهم جميعا أستاذ الفكاهة الغامرة وصاحب الأسـلوب الساخر اللاذع ، وهجاء العصور الوسطى كلها : فرنسوارابليه François Rabelais (١٤٩٤ — ١٥٥٣) ... والـــذى لا يمكن أن نعرف أوسكار ويلد على حقيقته ما لم نعـرف أنه يكاد يكون نسخة من هذا الكاتب الفرنسى الخـالد فى ظرف مفارقاته وجوامع كلمـاته المحكمات ، وبديع كناياته وتورياته اللطيفة التى تجعل لحواره ، سواء كان حوارا فى القصة أو فى المسرحية ، سحرا وجاذبية لا تشبع النفس منهما ... ان ويلد هو بلا شك تلميذ رابليه فى هذا كله .. وعلى من يريد أن يلمس هذا بنفسه أن يقرأ قصتى رابليه : جارجانتوا وپانتاجريل [١] ، ثم قصة صورة دوريان جراى لويلد ليدرك أن روح التلميـذ هى بلا شك من روح الأستاذ ، وأن سخرية ويلد وهمزاته ولمزاته هما من همزات رابليه ولمزاته لمعاصريه من الساسة ورجال الدين والمتحذلقين وأدعياء العظمة وأقطاب المجتمع ودجاجلة الطب ، مما نجد أثره فى كثيرين ممن تأثروا برابليه ومن تتلمـذ عليهم

(١) فى كتابنا المترجم عمالقة أدب الغرب حــديث شائق عن رابليه وعن قصتيه فليرجع اليهما من يشاء .

ويلد أيضا وفى مقدمتهم مونتينى وموليير وپسكال وچوناثان سوفت (١٦٦٧ — ١٧٤٥) ولورانس ستيرن (١٧١٣—١٧٦٨) وتوماس أمــورى Th. Amory وغيرهم من أقطاب الفكاهة والأسلوب التهكمى الساخر .

وفى لندن تعرف ويلد الى زعيم المسرح الانجليزى فى أواخر القرن التاسع عشر السير هنرى ارڤنج (١٨٣٨ — ١٩٠٥) وأعظم من كان يمثل أبطال شيكسپير . وقد أفاد ويلد من هذه الصداقة فائدة عظيمة ، ولا سيما بعد أن قدمه ارڤنج الى سيدة المسرح الانجليزى فى ذلك العصر ، الممثلة الخالدة الن ترى Ellen Terry (١٨٤٧ — ١٩٢٨) والدة الممثل والمخرج المثالى الكبير جوردون كريج ومؤلف كتاب «فى الفن المسرحى» وقد كانت المسرحيات التى شهد فيها تمثيل ارڤنج وترى وكريج مما أوحى اليه بالكثير من شخصيات مسرحياته .

نظرية الفن من أجل الفن

لعل أول من ألقى بذرة هذه النظرية فى حديقة الأدب الحديث هو الشاعر والناقد وكاتب الأقاصيص الأمريكى ادجار ألان پو E.A. Poe (١٨٠٩ — ١٨٤٩) ، والذى كان يكتب فصوله فى النقد بوحى من آراء أستاذه الشاعر والناقد

الانجليزى صامويل تايلر كولردج S.T. Coleridge (١٧٧٢ — ١٨٣٤) ، وذلك حيث قال پو مرة فى معرض الكلام عن القصيدة الشعرية : «اننا لا نجد ، بل لا يمكن مطلقا أن نجد عملا من أعمال الأدب يستحق التمجيد والتخليد أكثر من القصيدة التى هى قصيدة بالمعنى الصحيح وليست شيئا آخر غير القصيدة ... الشعر الذى ينظمه الشاعر من أجل الشعر فحسب ، وليس من أجل أى شىء آخر »

والمبدأ الذى يمثله هذا الكلام ، والذى يتلخص فى وجوب أن يكون هدف الفن هو الخلق والابداع وكمال التعبير الفنى قبل أن يكون هذا الهدف هو أن يخدم غاية أخلاقية أو غرضا تعليميا أو مقصدا سياسيا أو اجتماعيا ... نقول ان المبدأ الذى يمثله هذا الكلام كان مبدأ نشأ وترعرع فى ظلال الفترة الرومنسية ، وقد أشار اليه اشارة مجملة الناقد والشاعر كولردج ، ثم أعطاه صيغته المذكورة آنفا ادجار ألان پو ، ثم ازدهر وآتى أكله فى رعاية الشعراء الرمزيين الفرنسيين ، وقرينهم وولتر پاتر الذى تحدثنا عنه آنفا — وأكبر أساتذة ويلد المباشرين — ثم وصل الى غايته بظهور المذهب السريالى والنظرية الجمالية التى استحدثها الأستاذ ايڤور آرمسترونج رتشردس I.A. Richards (١٨٩٣ — •) الناقد الأدبى

والعالم النفسانى الانجليزى وصاحب هذه النظرية الجمالية والذى قام بتجارب كثيرة لشرح مفهوم الجمال وفعله فى النفس ولا سيما فيما يتصل بعلم تطور معانى الكلمات : Semantics ولقد ظلت هذه النظرية هى النظرية السائدة فى جميع فروع الفن وبخاصة فى دنيا الشعر حتى سنة ١٩٣٠ حينما أنذرت الحركتان الماركسية والپروليتارية فى ميدان الأدب باحياء النظريات التعليمية والارشادية التى كانت سائدة فى القرن الثامن عشر . وقد أخذت هذه النظريات كلها تضعف وتذهب ريحها بعد نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ .

ولم يكد أوسكار ويلد يصل أسبابه بأسباب أستاذه پاتر حتى عم مذهبه فى وجوب أن يخلص الفن للفن نفسه ، وقد زاده ايمانا بهذا المبدأ الأساتذة والأدباء والشعراء الذين سردنا أسماءهم هنا لتلمذته عليهم وادمانه قراءتهم ؛ ولأنهم كانوا ينطوون على أحاسيس جمالية مثل أحاسيسه ... أحاسيس كانت تغمر تلك الفئة من الفنانين والشعراء الذين أشرنا اليهم من قبل والذين كانوا يطلقون على أنفسهم هذا الاسم الغريب : The Pre-Raphaelite Brotherhood أو جماعة الرجوع بالفن الى ما قبل عصر رفائيل ، وهى الجماعة التى تكونت فى لندن سنة ١٨٤٨ برئاسة دانتى جبريل روستى

D.G. Rossetti (١٨٢٨ — ١٨٨٢) الشـــاعر والمصـــور الانجليزى ، والايطالى المولد ، وكان يشتهر بصوره الصـافية ورقائق قصائده الغنائية الخصبة التى كان يملؤها بالتفصيلات الوصفية الدقيقة ، ويغرقها فى جو صوفى غامض وخيـال غامر عجيب ... تماما كما كان يفعل بتصاويره . وقد كانت هـــذه الجماعة تتألف أصلا من عدد كبير من قادة الفكر والفنـانين الذين يدعون الى وجوب دراسة الطبيعة دراسة أعمق وأشمل وأوفى ، سواء فى أعمالهم الأدبية أو الفنية ، ممـا كان يفعـل الأكاديميون ومن يربطون أنفسهم بالقواعد الجامدة والأقيسة التقليدية التعسفية .. ثم هم كانوا يدعون الى توجيه العنـاية الى الطرق الايطالية التى كانت سائدة فى دنيا التصوير والفنون قاطبة قبل وجود رفائيل ، والى روح هـذا العهـد . وقد كان جون رسكن يظاهر هذه الجماعة ويناصر دعوتها ، كمـا كان يناصرها كثيرون ممن أوردنا أسماءهم وألمنا ببعض أعمالهم فى هذه العجالة الخاطفة . على أن عددا كبيرا جدا من النقـاد راح يهاجمها ويناصبها العداء ويسخر بدعوتها ويتخـذ من بعض زعمائها مادة للتهكم ، ولا سيما من أوسكار ويلد نفسـه ... ذلك الكاتب الجرىء المستهتر الذى حمل أعباء معركة الفن من أجل الفن كلها على كاهله .

وكانت الجماعة تدعو فى عالم الشعر الى العودة الى أغانى العصور الوسطى القصصية الاستطرادية ، والى اللاطبيعية أو الـ Supernaturalism ، وبالاحرى الى الاعتقاد بأن نظام الوجود صادر مما فوق الطبيعة حيث يأتى الوحى والالهام من مصادر غير مادية ، وهو الاعتقاد الذى كان يدين به ادجار ألان پو ... ثم تتناقض الجماعة فتدين بمادية الشاعر الانجليزى الشاب چون كيتس (١٧٩٥ — ١٨٢١) وتخيلاته الحسية . وقد أصدرت مجلة صغيرة أطلقوا عليها اسم « الجرثومة The Germ » كانت من الصحف « التجريبية » أو « الطليعية » فى عالم الصحافة ، وكانت تنشر غررا من الشعر لأعضاء الجماعة ولشعراء ممن كانوا يعطفون على الحركة وان لم يلقوا بكل ثقلهم فيها ... ومن الأقلام التى جرت فيها الشاعرة كرستينا روستى (١٨٣٠ — ١٨٩٤) أخت رئيس الجماعة والعضو بها ، والشاعر وليم موريس والشاعر كوفنترى پاتمور (١٨٢٣ — ١٨٩٦) والشاعر ا . تشارلس سوينبرن . ومما لا شك فيه أن أدب هذه الجماعة وآراءها فى الفن قد أثرت فى دنيا الفنون كلها فى تلك الفترة من الزمان ، وأن ممن تأثروا بها الى درجة ما الشاعر الفرنسى مالارميه Mallarmé (١٨٤٢ — ١٨٩٨) زعيم المدرسة الرمزية التى ظهرت فى

الوجود على أنقاض المدرسة البرناسية التى كان يتزعمها فى أواخر القرن التاسع عشر الشاعر شارل دى ليل ، والتى ظهرت لتعارض عاطفية الرومنسية وموضوعيتها المتزايدة ، ومن ثم كانت تنشد « سكينة الأولمب » من حيث دقة الصياغة الأدبية والعناية التى تشبه « الحذلقة » فى مراعاة الأحكام والقوانين . والبرناس جبل قرب دلف ذو قمتين احداهما مكرسة باسم أبوللو وعرائس الفنون والأخرى باسم باخوس .

ولا بد هنا من الاشارة الى « مدرسة الشعر الشهوانية The Fleshly School of Poetry » التى تفرعت عن جماعة الرجوع بالفن الى ما قبل رفائيل ، والتى هاجمها الكاتب والشاعر روبرت وليم بتشانان (١٨٤١ — ١٩٠١) بامضاء « توماس ميتلاند » فى كثير من الصحف وراح يوضح خطرها على الاخلاق وعلى الأدب وعلى الفن حتى تم الصلح بينه وبين رئيسها روستى ومعظم أعضائها فيما بعد .

والعجيب أن أوسكار ويلد تحمس لهذه الجماعة ونظم مجموعة من القصائد التى تحمل كل سماتها ثم نشرها سنة ١٨٨١ ، ولم تكن المجموعة الا أصداء متهافتة من الشعراء الذين تأثر بهم ويلد ، ولكن روحها المكشوفة وما فيها من تبذل جعل عامة القراء يفضلونها على أشعار أساتذة ويلد أنفسهم .. وقد

كان ويلد فى هذه الفترة يعانى ضيقا ماليا خانقا وظمأ فى الوقت نفسه الى الأناقة التى تكلف صاحبها مالا كثيرا ولا بد .. وكان مما لا بد منه أن يزداد المبيع من المجموعة ، وكان اسم ويلد قد أصبح مضغة لريشة رسامى الكاريكاتير فى كبريات الصحف ، ولأقلام العابثين من دجاجلة الصحافة الرخيصة والمتطفلين على رحابها الذى يرحب دائما بالنهاشين والوالغين ... والعجيب أن ويلد لم يحفل بهذا كله .. بل راح يشجع عليه ويغرى هؤلاء به بظهوره فى بنطلونه القصير وجواربه الحريرية وقميصه الغريب وزهرته المفضلة النابتة فى عروة جاكتته القطيفية ، ثم شعره المنسدل الذى يباهى أحلى شعور العذارى ، ثم قبعته التى كان يسيل لها لعاب الفاتنات ، وراح يضرب فى شوارع لندن ويغشى المنتديات متحدثا الى الصفوة والى الرعاع أيضا عن الجماعات الفنية المذكورة وعن وجوب تقديس الفن وقصره على الفن نفسه ... ولم يقف بجرأته عند حد ، بل جعل يدعو الى الالتذاذات الحسيةو « عيش الحياة كما يجب أن تعاش ! » وتنزيه الفن عن الاشتغال بمشاكل العيش وتعبيده لقضايا المجتمع ! وهكذا استطاع ترويج ديوانه حتى نفقت سوقه ونفدت نسخه .

ونحن لا نستطيع المرور بقضية الفن من أجل الفن هذا

المرور السطحى السريع دون أن نثبت — فى غير تحيز — ماكان يتذرع به أنصار تلك القضية من حجج وما كانوا يدلون به من معاذير اذا أنعمنا فيها النظر قليلا رأينا للقوم حجتهم القوية ، ولا سيما فى دنيا المسرح .. ورأينا أنهم كانوا على حق الى حد ما فيما ذهبوا اليه من ذلك كله .. ولا سيما أيضا هذا النفر من كتاب المسرح الايرلندى فى أواخر القرن التاسع عشر ، وعلى رأس هذا النفر ليدى جريجورى (١٨٥٢ — ١٩٣٢) ووليم ييتس (١٨٦٥ — ١٩٣٩) وچون ملنجتون سينج (١٨٧١ — ١٩٠٩) ... أولئك الذين ضاقوا بالمذهب الواقعى وبفرعه المذهب الطبيعى فى دنيا المسرح ، كما ضاق الرمزيون والبرناسيون بالمذهب العاطفى — أو الرومنسى — الذى كان يعنى شعراؤه وكتابه وفنانوه بالناحية الموضوعية كما كان يعنى بها الواقعيون وكتاب مسرحية المشكلة ومسرحية الأفكار وغيرهما من المسرحيات التى تقوم على الجدل وكد الذهن بعرض الأسباب والمسببات .

لقد ذهب هؤلاء الكتاب الأيرلنديون الى أن الأدب الواقعى كله ، والمسرحية الواقعية بالذات بكل أنواعها ، أدب معرض لأن يفقد قيمته بمرور الزمن ، ولا سيما اذا كان يعالج مشكلة من مشكلات المجتمع يريد الكاتب أن يخلص مجتمعه

من آفاقها بما يشنه عليها من حربه الفكرية ... ونحن لا نجادل فى أن معظم مسرحيات المشكلة مسرحيات موقوتة الأهمية بمقدار ما تستمر هذه المشكلة ، وبمقدار ما تظل المشكلة قائمة ، فاذا عالجها المجتمع وتغلب عليها وأصبحت شيئا كان ولم يعد كائنا ، أصبحت المسرحية التى كانت تعالجها مسرحية غير ذات موضوع ولا جدوى من عرضها .. بل ولا جدوى من مجرد قراءتها الا لأغراض تاريخية أو أكاديمية . وهذا بالضبط هو ما يقال عن مسرحيات الأفكار ، ولا سيما اذا كانت أفكارا تدور حول أمور موقوتة بزمان معين ومكان معين وأقوام معينين ... فالملاحظ أن مسرحية الأفكار ان لم تكن تحمل طابعا عالميا شاملا يجعلها تصلح للعرض وللقراءة أيضا فى كل زمان ومكان تكون معرضة لأن تصبح غير ذات موضوع كمسرحية المشكلة والمسرحية الواقعية الموضوعية تماما .. ومن هنا فكر أولئك الكتاب الأيرلنديون — ولعلهم تأثروا فى ذلك بمبدأ الفن من أجل الفن — فى كتابة مسرحيات يمكن أن يكتب لها البقاء مهما تطاول عليها الزمن ، ومهما كان المكان أو القوم الذين تقدم اليهم المسرحية ... ولعل هذا أيضا هو الذى جعلهم يختارون المسرحية الصوفية بنوعيها — الصوفية المؤمنة والصوفية الملحدة — ميدانا لنشاطهم الجديد ، وذلك كما اختار

اخوانهم جماعة الفن من أجل الفن ، أو جماعة الرجوع بالشعر وسائر الفنون الى ما قبل ظهور رفائيل ، ثم من تأثروا بهم من الرمزيين والبرناسيين ... بل لعل هذا هو ما نبه كتاب المسرحية الواقعية ومسرحية المشكلة والمسرحية الذهنية أو مسرحية الأفكار الى تلافى الخطر الذى نبههم اليه هؤلاء الثائرون ... خطر أن تصبح مسرحياتهم غير ذات موضوع ما دام المجتمع قد عالج المشكلة أو الفكرة وتلافاها .. فراحوا يجربون المذاهب الكثيرة المتعددة حتى انتهوا الى المذهب التعبيرى ، ومن ثمة ظهرت المسرحية التعبيرية التى يتغلغل فيها الكاتب الى أطواء النفس الانسانية وحناياها ليصور لنا ما تجيش به هذا الأطواء من عجائب وأسرار .. بل لعل هذا أيضا هو ما دعا الى ظهور المسرحية الخيالية التى تنقلنا من واقع الحياة الى عالم خيالى أو فكرة خيالية تنسينا متاعب الحياة ومشاكلها وأوضارها . ان المسرحية عند أصحاب الفنون الجمالية ومدرسة الـ Pre-Raphaeliest بالذات يجب ألا تكون قطعة فنية خالصة مثلها فى ذلك مثل السيمفونية والألحان الموسيقية والصورة الأخاذة والتمثال الساجى وقصيدة الشعر التى تفيض بالأشجان وتبتل بالمدامع وتبتعد عن مشاكل الحياة وأوجاع المجتمع .. وهذا هو ما صنعه أوسكار ويلد فى قصصه

وأقاصيصه وأشماره وفى جميـــع ملاهيه المشهورة ... انه لا يعطينا موضوعا ولا يعرض علينا مشكلة ... بل هو يكتفى بموقف من المواقف المسلية يفرس فى روضه مفارقاته المضحكة، ويعلق عليه كناياته وتورياته ، ويزوده بغرائب كلمه العـذب الذى يفيض بحسن البادرة وجمال النادرة والأجوبة المفحمـة المسكتة .



وذاعت شهرة ويلد حتى كاد أن يصبح فى أنظار العـامة زعيما لتلك الجماعة الجمالية ، ودعى لالقاء طائفة من الأحاديث فى أمريكا التى افتتنت بشخصيته فذهب اليها سنة ١٨٨٢ وألقى فيها ما يزيد على مائتى حديث ، وأخرجت له فيها أولى مسرحياته « ڤيرا » التى لم تصب هنـاك نجاحا يذكر . ثم عاد الى أوربا وأقام فترة فى پاريس حيث كتب مسرحيتـه الجديدة « دوقة پادوا » التى نسج فيها على منوال شيكسپير فى شعره المرسل ، وحيث نظم أهم أشعاره « أبو الهول » تلك المنظومة التى يقول فيهـا مؤرخو الشـعر الانجليزى الحديث انهـا قـد أثرت — ويا للأسف — تأثيرا شديدا فى شعراء الانجليز الشباب ولا سيما الشاعر چيمس فلكر J. Elroy Flecker (١٨٨٤—١٩١٥)

الذى جرى فى أذيال الجماليين ودان بكل ما كانوا يدينون به .

واضطرته حاجته الى المال مرة أخرى الى العودة الى انجلترا وجوب أرجاء الريف الى القاء الكثير من محاضراته الأمريكية فيها لقاء أجور تافهة .

ثم تزوج فى سنة ١٨٨٤ واستقر وأنجب وأخذ يكتب فصولا عن أشهر الكتب لجريدة البول مول غازيت Pall Mall Gazette وفصولا عن المسرح للمجلة المسرحية : The Dramatic Review .. كما استمر فى القاء محاضراته الخلابة التى جعلته أعظم متحدث فى انجلترا منذ سنة ١٨٨٥ ، وأخذ المجتمع يتفكه بجوامع كلمه ويتناقل مفارقاته ويتندر بما كان يرسله من نكات وفكاهات يرتجلها ارتجالا وينفضها خاطره السريع فى غير مشقة ولا تكلف . لقد حاول برنارد شو أن يهاجم ويلد ، كالذى يحاول أن ينفى عن نفسه أنه تأثر به أو تلمذ عليه .. لكن شو لم يفلح فى هذا .. فهو قطعا من تلامذة ويلد ومن أشد الذين تأثروا بفنه الفكاهى الساخر ... وليس شو هو الذى تأثر بويلد فحسب ، بل لقد تأثر به معظم مشاهير عصره من الكتاب الانجليز والفرنسيين والأمريكيين ؛ لقد كان تأثيره — حتى فى خصومه — تأثيرا جارفا لا استثناء له .

ثم رأس مجلة « عالم المرأة » وظل يحررها من سنة ١٨٨٧ حتى سنة ١٨٨٩ ، وظل ست سنوات تبـدأ من ١٨٨٥ يكتب القصص القصيرة والأقاصيص الخرافية الخلابة وكتب رسـالة عن شيكسبير ، كما ظهرت قصته الخالدة « صـورة دوريان جراى » التى تشتمل محاوراتهـا على زبدة آرائه فى فلسـفة الجمال ، كما كان لها أكبر الأثر فى توجيه النقد الحديث،وأثارت عاصفة شديدة من الجدل حول ما تضمنته من قيم بين تلاميـذه وخصومه . وقد ظهرت « صورة دوريان جراى » أول ما ظهرت فصولا متتابعة فى مجلة « لينكوت Lippincott's Magazine » وذلك فى غضون سنة ١٨٩٠ ، ثم ظهرت فى كتاب سنة ١٨٩١ وقد أضاف اليها ويلد بضعة فصول أخرى وقدم لها بمقـدمة ضافية ، فأثار ظهورها من جـديد عاصفة ثانيـة من السخط الشديد بين نقاد الكتب فى الصحافة البريطانية كانوا يديرونها على مجافاة القصة للأخلاق ، وثورتها على تقاليد المسز جراندى وتمردها على روح العصر الڤكتورى وجرأتهـا على العـرف والآداب العامة .

وفى سنة ١٨٩١ أخذه أحد الأصدقاء ليستمع الى حـديث يلقيه شو عن الاشتراكية ، فما كان منه الا أن انتحى ناحية ثم راح يكتب رأيه فى موضـوع المحاضرة .. أعنى فى النظـام

الاشتراكى .. وجعل يكتب ثم يكتب .. والظاهر أنه كان يكتب بوحى من مناقشاته عن الموضوع مع صـديقه وليم موريس الشاعر والرائد الاشتراكى المعروف ... وقد كانت نتيجة ماكتب فى هذه المناسبة رسالته الرائعة التى سماها : « روح الانسـان فى ظـل الاشتراكيـة The Soul of Man Under Socialim التى جاءت آية فى الأدب الانجليزى والتى قال فيهـا « ان الاشتراكية ستقوم عن الانسانية بكل المشاق التى لا غنى عن القيام بها للارتفاع بكل انسان عن مجرد كسب قوته اليومى ؛ كى يتفرغ لمهام أعلى وأسمى » وهو يعنى بالطبع مهـام الروح والشواغل العليا للنفس الانسانية .

ويلد يتألق فى المسرح :

وفى سنة ١٨٩١ أيضا وقعت أزمة مسرحيته « سـالومه Salomé » التى كتبها بالفرنسية ، والتى قبلت الممثلة الطـائرة الذكر ساره برنار القيام ببطولتها وقضت ثلاثة أسابيع بالفعـل فى التدريب عليها ؛ وكانت المسرحية على وشك أن تظهر على خشبة مسرح النصر Palace Theatre فى لندن .. الا أن الرقابة تدخلت فى المراحل الأخيرة ومنعت تقديمها للجمهور بحجة منافاة بعض أجزائها لما ورد فى العهد الجديد عن القصة نفسها . وهنا ثار أوسكار ويلد ، وراح يضرب مسز جراندى على حر وجهها ،

بل راح يذبح التزمت الفكتورى ويأخذ بتلابيبه ، ثم صمم على الهجرة من انجلترا كلها والعيش فى فرنسا ، واعتزم التجنس بالجنسية الفرنسية ... وليته فعل ! ونقول ليته .. لأنه لو أنفذ ما اعتزمه من ذاك لأفلت مما كتب عليه أن يلقاه من الهوان بعد ذلك بثلاث سنوات ، ولما حدث هذا الحادث المؤسف الذى راحت سمعته ضحية له .. بل تحطمت حياته كلها من جرائه .. ذلك أنه كان قد رفع دعوى على الماركيز كوينزبرى والد صديقه لورد آلفرد دوجلاس لينفى عن نفسه ما أشاعه الوالد من وجود علاقات مشينة بين ويلد وبين آلفرد لو ثبتت لهدمت كيان ويلد الأدبى .. فاذا محامى المركيز يقلب القضية على رأس ويلد ويجعل موكله يدلى باعترافات شائنة تجرح الحياء وتريق دم الشرف ، فلا يرى القاضى بعد ثبوت التهم التى أثارها المركيز الا أن يأمر بالقبض على ويلد ، ومحاكمته هو..ثم الحكم عليه بالسجن عامين مع الأشغال الشاقة ...

على أن مسرحية سالومة هذه هى التى جعلت من ويلد كاتبا من كتاب المسرح العالميين .. وقد مثلتها ساره برنار فى باريس فطارت شهرتها فى أركان العالم ، ولم يمض وقت طويل حتى أخرجت فى برلين ، وأقبل الألمان على مشاهدتها من كل فج، وطال أمد عرضها هناك حتى ضربت الرقم القياسى فى عدد

الحفلات التى عرضت فيها ، بحيث لم يفقها فى ذلك أى مسرحية انجليزية ، ولا نستثنى مسرحيات شيكسپير نفسه !

ويقول هيسكيث پيرسون H. Pearson : « ان مسرحية سالومة وان شعرنا فيها بلمسة من فلوبير وأثر من ميترلنك تتميز بطابع خاص بها وجو غير مجلوب من أية مسرحية أو أية قصة أخرى ... ومع ذاك فنحن لا نملك الا أن نعترف بالجميل للرقيب الذى منع تمثيلها ... لأن رفضه هذا صرف أنظار ويلد عن كتابة المأساة الى كتابة ملاهيه الحديثة »

وقد قام بترجمة المسرحية من الفرنسية الى الانجليزية صديق ويلد لورد آلفرد دوجلاس وذلك سنة ١٨٩٤ وحولها الموسيقار النمسوى المشهور يوهان شتراوس I. Strauss (١٨٢٥ — ١٨٩٩) الى أوپرا عالمية عظيمة . وظل أمر الرقيب الانجليزى بمنع عرض المسرحية ساريا ولم يلغ الا سنة ١٩٣١(!)

وخلاصة المأساة أن هيروديا زوجة هيرود فيليپ تطلق زوجها هذا وتتزوج من أخيه هيرود آنتيپاتر ملك اليهودية (أرض الميعاد) لغرام آثم بين الزوجة وبين الأخ بالرغم من أنها أنجبت من الزوج الشرعى ابنتها الجميلة سالومة (سالومى). ويثور النبى يوحنا المعمدان (يوكانان Iokanaan عند ويلد) لهذا الزواج ويعده زواجا محرما آثما فيأمر الملك بالقبض عليه

والزج به الى السجن .. وتسخط عليــه هيروديا وتتربص به الدوائر لما شنع به عليها . ويكون يوم عيد ميلاد هيرود الملك فيقيم وليمة عظيمة ويطلب الى سالومة أن ترقص لأضيافه فيها ، لكنها تتأبى وتتدلل فيعرض عليها أن ترقص وأن تطلب منــه ما يشاء لقاء رقصتها وان طلبت نصف مملكته .. وهنا تذهب الى أمها تستشيرها فتشير عليها بأن تطلب رأس يوحنا المعمدان على طبق من الذهب ! ولكن .. كيف .. وسالومة نفسها مجنونة غراما بيوحنا المعمدان .. هذا الرجل القوى المفتول العضل ، الذى يثير فى سالومة أعنف أحاسيس الشهوة الجامحة (!) عند ذلك تذهب سالومة الى يوحنا تخيره بين اثنتين .. اما أن ينيلها من نفســه ما تشاء .. واما أنفذت ما أشــارت عليهــا به أمها .. ويرفض النبى الطاهر بطبيعة الحال .. فترقص ســـــالومة .. وتطلب رأس يوحنا المعمدان .. فاذا حاول الملك أن يثنيها عن هذا الطلب أصرت عليه .. فيكون لها ما تريد .. وحينما يقــدم اليها الرأس الشريف تكب على شــفتيه تقبلهما بنفس الشغف الذى كانت تضمره لصاحبه وهو على قيد الحياة ..

وموضع خروج ويلد على ما جاء فى الانجيل هو هذا الحب الشهوانى الذى أقامه فى قلب سالومة للنبى يوحنا المعمدان .. كما أنه أشعل مثل هذا الحب فى قلب هيرود الملك الذى جعله

يجن غراما بسالومة ابنة أخيه وابنة زوجته فى وقت واحد . وقد وقع الكاتب المسرحى الألمانى هرمان سودرمان(١٨٥٧ — ١٩٢٨) فيما وقع فيه ويلد ، وذلك فى مأساته « نيران القديس يوحنا The Fires of St. John » التى ظهرت سنة ١٨٩٧ متأثرا فيها بويلد من غير شك .

مروحة الليدى وندرمير

وفى الثانى والعشرين من فبراير سنة ١٨٩٢ مثلت ملهاة ويلد : « مروحة الليدى وندرمير » تلك المسرحية التى ظهرت ترجمتها فى تلك المجموعة والتى قرأنا مقدمتها الشائقة التى لا يمكن أن نزيد عليها الا أن الممثل والمدير المسرحى الكبير جورج ألكسندر الذى دفع لويلد مائة جنيه لقاء تمثيل المسرحية لأول ظهورها حاول أن يشترى منه حق تمثيلها الدائم لقاء ألف من الجنيهات نقدا (وما كان أضخم هذا المبلغ فى ذلك الوقت) فاعتذر ويلد لأنه أدرك أنها سوف تدر عليه أضعاف هذا المبلغ وقد تحقق ما كان يرجوه .

امرأة غير ذات أهمية

وفى التاسع عشر من ابريل سنة ١٨٩٣ مثلت ملهاة ويلد الثانية : « امرأة غير ذات أهمية » التى ترجمت الى العربية أيضا

فى (مجموعة الألف كتاب) والتى أخرجها ومثلها السير بير بوم ترى Sir Beerbohm Tree (١٨٥٣ — ١٩١٧) فى مسرحه هيمارکت بلندن .

والمسرحية عرض لقصة فتاة خدعها شاب خليع بوعوده البراقة الكاذبة حتى اذا أسلمت له نفسها عاد فحنث فيما وعدها به من الزواج ولم تنجح توسلاتها ولا نصائح أبيه فى ايقاظ ضميره والبر للفتاة بوعوده .. ولا تملك الفتاة الا أن تحمل وليدها وتنأى به الى مكان سحيق وتغير اسمها فتدعو نفسها مسز أربوثانت ؛ وتخوض معركة جهاد مضن شريف .. وتمضى عشرون عاما .. ويكبر ابنها ، ويلقى أحد اللوردات الذى يعجب به ويعرض عليه أن يتخذ منه سكرتيرا له ؛ ويستشير الشاب أمه ، فاذا ذكر لها اسم اللورد اذا هى تنصحه بألا يقبَل المنصب .. ويلح الفتى فى معرفة السبب فلا تملك الأم الا أن تخبره ... ان اللورد هو ذلك الشخص الدنىء . النجورث ... الذى اعتدى عليها منذ عشرين عاما ... فكيف تطيق أن يعمل ابنها عنده .. والأم هنا لا تخبر ابنها بأن هذا اللورد النجورث هو أبوه .. انها تؤجل البوح بهذا السر الى حادث تال ... وذلك حينما يهوى ابنها فتاة جميلة تلقى اللورد النجورث الذى لم يفارقه طبعه فى مغازلة الحسان .. والذى

يحـــاول أن يفوز بقبلة من الفتـــاة على مشهد من چيرالد — الابن — فيثور جيرالد ويهم أن يقتـــل اللورد ، لولا أن تتدخل أمه فى اللحظة الحاسمة ، وتخبر ابنها أن اللورد ليس شخصا آخر غير أبيه .. أبيه صاحب الجريمة القديمة ... وهنا يحاول الابن أن يصلح بين الأم وبين الأب ، ويحاول أن يقنـــع والدته بأن تصبح زوجة للورد .. لكن الأم ترفض رفضا تاما أن يكون لها هذا المجرم الحانث زوجا .. وتشجعها الفتاة على هذا الموقف ، وتقترح أن يهاجر الثلاثة : الأم والابن والفتاة .. الى أمريكا .. بعيدا عن حياة لنـــدن الموبوءة .. ليكافحوا من أجل حياة جديدة ..

والمسرحية كما نرى لا تختلف من جميع ملاهى أوسكار ويلد الأربع .. فهى تشتمل كسائر هـــذه الملاهى على عنصر المفاجأة .. وعامل التحول الذى يظل خافيا علينا حتى نفاجأ به .. وتفاجأ به بعض شخصيات المسرحية فى مرحلتها الأخيرة .. وهذا العنصر هنا هو اتضاح ، أو انفضاح .. شخصية النجورث لابنه وهو يهم بقتله .

ولعلنا نلمس هنا أثر ابسن فى رسم شخصيـــة الأم التى ترفض التزوج من النجورث الذى أقدم على جريمته القديمـــة

معها ، وحنث بوعده لها منذ عشرين عاما ... هذا ... وان يكن البون شاسعا بين فلسفة كل من الكاتبين .. لأن ويلد كان لا يحبذ تعبيد الفن للحياة .. بينما كان ابسن يتخذ منه أداة لاصلاح الحياة والمجتمع .

الزوج المثالى :

وفى الثالث من يناير سنة ١٨٩٥ مثل بيربوم ملهاة ويلد الثالثة .. الزوج المثالى .. وكانت ملهاة ناجحة كسابقتيها .. حشد فيها ويلد من جوامع كلمه وقوارص مفارقاته — ولا سيما فى الفصل الأول — ما لم يحشده فى ملهاة له من قبل ولا من بعد .. لقد كانت الزوج المثالى اللطمة الثالثة التى وجهها ويلد الى خدود ناقديه فأفحمتهم وألزمتهم الصمت، وجعلتهم يؤمنون بأنهم أمام الكاتب الذى أحيا سنة كاتب الملهاة الانجليزية وأعظم روادها وليم كونجريف W. Congreve (١٦٧٠ — ١٧٢٩) وزعيم الملهاة السلوكية الأشهر والذى ضاع فى زحمة كتاب الملاهى الهابطة فى فترة عودة الملكية فى انجلترا ، وظلمه ناقده جيريمى كولير Jeremy Collier (١٦٥٠ — ١٧٣٦) حتى جعله يعتزل التأليف المسرحى ... لقد استطاع أوسكار ويلد حتى الآن أن يقاوم تيار مسرحيات الأفكار ومسرحيات المشكلة ، وأن يعيد للملهاة الانجليزية تيارها الجارف الذى خلقه

لها كونجريف من الضحك الخالص الذى يفضح مع ذاك سلوك العلية وينشر فيها مخازيهم .. الأمر الذى لم يسبق اليـه ويلد غير الكاتب الايرلنـــدى الفــذ رتشرد برنسلى شريدان : R. B. Sheridan(١٧٥١ — ١٨١٦) مؤلف ملهــاتى الغــرماء ومدرسة النميمة .

وتدور قصة الملهاة حول دسائس هـــذه المسز تشيڤرلى ومخادعاتها .. تلك السيدة التى « تبـدو عبقرية فذة سحابة النهار ، وغادة تأسر القلوب بجمالها فى ظلام الليل » اننا نراها فى مطلع المسرحية وهى تتألق فى حفلة مسائية أقامها لورد وليدى شـــلتون Chilton فى قصرهمــا بلنـــدن ... ولا تلبث ليدى شلتون أن تتبين فيها احدى صويحبــات الدراســة التى طردت من المدرسة بسبب سرقة ارتكبتها .. وكذلك يعرفهــا روبرت شلتون أيضا ، وان لم يبح بسرها لزوجته . وروبرت هذا فى الأربعين من عمره .. ويعمل وكيلا لوزارة الخارجية ، وهو معروف مشهور باستقامته ونقاء سمعته ، وان يكن قــد ارتكب اثما شنيعا قبل ثمانى عشرة سنة .. ذلك أن شهوته الى اقتناء المال والحصول على الثروة فى ذلك الوقت جعله يبيع أحد أسرار الدولة بمبلغ طائل من المال . وتفلح المسز تشيڤرلى فى

الحصول على الخطاب الذى يدين لورد روبرت شلتون ، وهى تستعمله الآن لابتزاز ما تشاء من الأموال منه . ثم تحاول أن تجعله يعطى موافقته على أحد المشروعات المقدمة للوزارة ، وهو المشروع الذى كان يعارضه معارضة شـــديدة .. ولا يملك المسكين آخر الأمر الا أن يوافق انقاذا لسمعته . وعندما تعلم زوجتـــه بتحوله عن رأيه فى المشروع المذكور ، وهى لا تدرى سبب هذا التحول ، تشعر بصدمة شديدة تؤرقهـا وتنفى عن عينيها طيب المنام ، حتى يضطر روبرت الى الكتــابة الى مسز تشيفرلى يخبرها أنه لن يستطيع البر بوعده فى الموافقــة على المشروع اياه .. وفى اليوم التـالى تزور مسز تشيفرلى ليدى شلتون ولايلبثان أن يتشاجرا شجارا عنيفا تضطر فى نهايتــه مسز تشيفرلى أن تبوح لها بسر الجريمة القديمة ... على أن القصة تنتهى نهاية سعيدة عند ذاك ، ويمنـــح اللورد شلتون منصبا وزاريا يزيده ثراء على ثراء .

أهمية أن يكون الانسان ارنست :

يقول مؤرخو ويلد انه كتب ملهاته هذه — أهمية أن يكون الانسان ارنســت — وهى أحسن ملاهيه ، فى ثلاثة أسابيع .. وذلك حينما أخذ عائلته لقضـــاء فترة من الراحـــة والدعة فى ضاحية ورذنج Worthing بمقاطعة سسكس بالمنزل رقم ٥

ش اسبلانيد Esplanade ... هكذا ... لأن المسرحية فى نظر مؤرخى المسرح .. وتاريخ الملهاة بوجه خاص .. حدث عظيم يستحق أن تسجل جميع حركات الكاتب التى مهدت له وتمخضت عنه ، ولأن أوسكار ويلد كان قد أصبح فى بحبوحة من العيش ، ودرت له أخلاف الرزق كما تقول نحن العرب ، بعد نجاح ملاهيه الثلاث التى ذكرناها وعرضنا هنا خلاصة اثنتين منها .. بل أصبح يتأنق ويتطاوس ويباهى الملوك فى مظهره ويتطاول على نقاده ويشمخ على سائر معاصريه من الكتاب المسرحيين ويتعمد اغاظة محترفى الصحافة ممن كانوا يهزلون به ويسخرون منه ويحاولون أن يحطوا من قيمة أعماله المسرحية وآياته الأدبية الأخرى .. ويشيعوا عنه الشائعات .. أجل .. لقد انفتحت لهاة ويلد للتأليف المسرحى وتفتحت له شهيته .. فكتب آية آياته هذه فى ثلاثة أسابيع .. وصدرت فى نفس السنة التى ظهرت فيها ملهاته « زوج مثالى » أى سنة ١٨٩٥ ، وفى يوم عيد المحبة من تلك السنة .. أى فى الرابع عشر من فبراير .. يوم عيد القديس ڤالنتين .. ثم .. وا أسفاه .. فى نفس السنة التى وقعت فيها محنة الكاتب الذى يشهد مؤرخو الملهاة الانجليزية الحديثة أنه ، وبلا شك ، أستاذ أعلامها

المحدثين : من أمثال آرثر چونس ، وچيمس باری ، وموم ، وشو ، وجراڤيل باركر ، وغيرهم وغيرهم .

ولكن .. لنعرض أولا خلاصة سريعة لهذه المهزلة الخفيفة التي ارتفعت فوق غيرها من المهازل بحبكتها اللطيفة ورشاقة حوارها وجمال مواقفها وحسن عناية ويلد برسم شخصياتها وهذه المفارقات البديعة المبتكرة التي اختصها بها المؤلف ولم يجر بها قلمه فى قصة « صورة دوريان جراى » كما هى الحال فى الملاهى الثلاث التى سبقتها ... وقبل تلخيص الملهاة — أو المهزلة — أحب أن أشير الى أننى لست من رأى الذين يقولون ان هذا التلخيص يقلل من قيمة التشوف فى نفس القارىء الى موضوع المسرحية ، وأنه يضيع عليه قيمة المفاجأة بما لا يحسن ألا يعلمه الا فى حينه .. وهذا كلام ظاهره صحيح .. لكن قائليه ينسون أن المسرحية لم تكتب أصلا لتقرأ ، ولكن لكى يشهدها الناس وهى تعرض من فوق خشبة المسرح ... وهذا هو الأصل فى الكتابة للمسرح .. أما قراءة المسرحيات .. والمسرحيات التى كتبت للتمثيل بالذات .. ففن لا يجيده الا القليلون .. ولهذا لم يكن بد من مغازلة أذواق عامة القراء بملخص سريع يعينهم على المضى فى قراءة المسرحية .. ولا سيما المسرحيات التى تكون من نوع الملهاة الخفيفة ، أو المهزلة التى يصعب على

القارىء العادى الامساك بخيطها العام المتصل لكى يستطيع أن يفهمها ، وألا يضل فى تيه حوادثها ومواقفها .. كما هى الحال فى مسرحيات ويلد ، ومسرحيات تشيخوف .. وغيرهما من أئمة الكتاب الذين لم يكتبوا تمثيلياتهم للقراءة .. بل كتبوا لكى يتولى أساطين المخرجين مهمة تفهيمها للمتفرجين .

ولعل مما يزيد ملاهى ويلد صعوبة فى أثناء قراءتها أنه يلجأ فى معظم الأحيان الى تسمية كل شخصية بأسماء ثلاثة ... وذلك كشخصية آلچيرنون مثلا .. الذى هو آلجى مرة ، ثم مستر مونكريف مرة أخرى .. ثم آلچيرنون مرة ثالثة ... ومثل شخصية چاك الذى هو مستر چون مرة ، ثم مستر ورذنج مرة ثانية ، ثم مستر ارنست مرة ثالثة ، ثم مستر ارنست ورذنج مرة رابعة ، ثم چاك مرة خامسة .. وهكذا بقية الشخصيات .. الأمر الذى يوقع القارىء فى الحيرة ، ويجعله (يضرب لخمة !) فى سائر الأحيان .. فينصرف عن المسرحية نادما على أنه اشتراها ! بل يجعله يسىء الرأى بها مهما تكن فى نظر النقاد من خيرة المسرحيات .



ففى الفصل الأول من هذه المسرحية نرانا فى غرفة جلوس فخمة بمنزل آلچيرنون أو مستر آلچى ، وقد حضر فجأة وعلى

غير انتظار صديقه مستر چاك .. أو مستر چون .. أو مستر ارنست ورذنج .. جاء من الريف الى المدينة طلبـا للمتعـة ، والتماسا للتسلية .. لأن الانسان عندما يكون في المدينة فانه يسلى نفسه ، أما فى الريف ، فانه يسلى الناس .

ويعلم چاك من صـديقه آلچى أن الليدى برانكل — أو السيدة أوجستا — تلك التى لا يهمها فى الدنيا كلها الا الحسب والنسب والمال وأهل الثروة والجاه — ستحضر الساعة لزيارة آلچى الذى يسميها خالته .. وفى صحبتها ابنتها الفتاة الجميلة الساحرة جويندولين ، أو مس فرفاكس ، التى يهواها چاك ، ويبالغ دائما فى مغازلتها واظهار هيامه بها ومحبته لها ، ولهذا يقول له آلچى ان الخالة أوجستا لن ترحب بوجوده هنا لهـذا السبب ، فاذا قال له چاك انه انمـا حضر لكى يطـلب يد جويندولين من يد أمها ليدى براكنل ، بدت الدهشة فى وجـه آلچى ، لأنه « لا يرى فى الزواج أى شاعرية .. لأن الشاعرية الحقة هى فى أن يظل الانسـان عاشـقا ... أما اذا تزوج .. فسرعان ما يخمد الحب ، وتبرد اللهفة .. وجوهر الشاعرية فى الحب هو أن يظل الأمر معلقا بين الشك واليقين .. وهـو اذا تزوج ، فلسوف يحاول نسيان هذا الحادث المؤسف ! »

فاذا طمأنه چاك بأن محاكم الطلاق انما وجدت خصيصا لمن

كانت لهم مثل عقلية آلچى الغريبة هــذه ، أجابه آلچى بأنه لا فائدة من انشغال الفكر فى أمثال هذه الأمور : لأن الطلاق انما يتم فى السماء (!) ... وأما زواج چاك من جويندولين فلن يتم .. لأن البنات لا يتزوجن أبدا من الرجال الذين يغازلن ، ولأنه زواج لا يوافق عليه آلچى ، الذى هو ابن خالتها .. ثم هو .. اذا كان يريد أن يسمح له بالزواج منها ، فلا بد له قبل ذلك من تصفية موضوع سيسلى !

ويدهش چاك .. ويطلب تفسيرا لهذه المفاجأة .. وهنا يطلب آلچى الى خادمه أن يأتيه بعلبة السجائر التى نسيها مستر چاك فى آخر زيارة له .. فاذا أتى بها الخادم ورآها چاك بدا الجزع فى عينيه وحاول أخذه .. ولكن آلچى يطلب اليه تفسيرا لهذا الاهداء المنقوش على غطاء العلبة من الداخل ، كما يطلب بيانا عن هذه الصغيرة سيسلى التى تقول انها تهدى العلبة الى عمها چاك . فمن هى سيسلى ؟ ثم .. من هو چاك ؟

ويقول چاك ان سيسلى هى خالته (!) وانه هو نفسه چاك، وان يكن آلچى لا يعرفه الا باسم ارنست .. لأنه يتسمى باسم چاك فى المدينة ، وباسم ارنست فى الريف . والسبب فى ذلك « آن الشيخ توماس كارديو الذى تبنانى وأنا طفــل صــغير

جعلنى وصيا فى وصيته على حفيـدته مس سيسلى كارديو .. وهى لذلك تدعونى عمها .. وهى تعيش فى الريف حيث أعيش ، وترعاها هناك مربيتها مس پرزم .. ولكونى وصيـا وجب أن أتخلق أمام الفتاة بأحسن الصفـات وأسمى الفضائل ، وألا ألتمس التسلية الا بعيدا .. فى المدينة مثلا .. وقد ادعيت لهذا السبب أن لى أخا صغيرا اسمه ارنست يعيش فى ألبانى ، وأنه يتورط فى مشاكل شـديدة تستوجب سفرى من حين الى حين كلها والنظر فيما يلزمه ... وقـد حـدث ، ويا للأسف ، أننى ذكرت لسيسلى شيئا عن أخى هذا الذى اخترته ، ثم وصفتـه بالجرأة وبالعيش والاستهتار ، فما هالنى الا أن أراها تحبه بل تعشقه وتهيم به ، وان لم تره ، ولن تراه .. لأنه شخص خيالى ، وأنا الذى اخترعته ... فياليت جويندولين تقبـل الزواج منى لأستغنى عن هذا الأخ ويختفى نهائيا من حياتى ، وحتى لا يفسد على سيسلى » .

والظريف أن يسمع چاك من آلچى أنه يصنع مثله تماما .. انه يتخذ أخا خياليا يسميه بنبرى Bunbury ويسكنه الريف ليجد حجة كلما أراد البعد عن المدينة .

وفيما هما يتحدثان اذا ليدى براكنل وابنتها جويندولين

تحضران ، ويستطيع آلچى باحدى حيله أن يأخـــذ خالتـه وينصرف ليخلى الجو لصديقه چاك ولحبيبته جويندولين ، ثم اذا نحن نعلم أن الفتاة تحبه حبا يملك عليها شغاف قلبها ، وأنها تحبه منذ اللقاء الذى عقده بينهما ابن خالتها آلچى الذى قدمها الى صديقه باسمه الثانى ارنست .. ذلك الاسم اللطيف الذى عشقته جويندولين وعشقت ماق صـاحبه من جد ورجـولة ، ورذنج .. وهكذا يبوح كل من الحبيبين بحبه ويتباثان الغرام ، وتصرح الفتاة فى سكرة من سكرات الهوى أنها لم تكن لتحب حبيبها لو لم يكن اسمه ارنست ... هـــذا الاسم الموسيقى الساحر السعيد .

ثم يتعاهدان على الزواج ، ويركع چاك (أعنى ارنست) بين يدى جويندولين ليطلب يدها كما يفعل العلية دائما .. وهنا.، تفاجئهما ليدى براكنل..والدة الفتاة .. وعندما تقول جويندولين لأمها ان الشـاب كان يطلب يدها للزواج ، اذا بأمهـا تقطب جبينها .. بحجة أن الخطبة تكون بتقدم الشاب اليها هى أو الى والد الفتاة .. وليس الى الفتاة نفسـها .. بذلك قضت مسز جراندى ممثلة آداب اللياقة فى العصر الفكتورى ..

وتأمر الفتاة بالخروج وانتظارها بالعربة حتى تخلو هى الى

جاك لتسأله من هو ، ومن أبوه ومن أخـوه ومن ذووه ومن ذو مال (!) — وهذا هو المهم —

ونكون أمام مشهد من أظرف مشاهد الملهاة . ان لم يكن أظرفها جميعا ... واذا ليدى براكنل تخرج من جيبها قائمة كبيرة بأسماء ذوى الحسب والنسب من شباب عائلات العلية وأهل الجاه ممن هم فى سن الزواج ، واذا هى تقول ان اسم ارنست ليس مدرجا بها .. مع أنها هى نفس القائمة التى تحملها دوقة بولتن .

ويكون أول سؤال لها هو عما اذا كان يدخن ؟ فاذا أجابها أن : نعم .. قالت « حسنا ... اذ يجب على الرجل ألا يكون عاطلا من الشغل أيا كان نوعه !

وعلى هذا المنوال المضحك تجرى الأسئلة والأجوبة والتعليق على الأجوبة ، حتى تسأله آخر الأمر عن أملاكه فيجيب أنها ألف وخمسمائة فدان فى الريف وقصر منيف وعدد من آلاف الجنيهات تعمل فى أسهم وسندات عدد من الشركات .. فتبتهج ليدى براكنل .. ثم تسأله عن والده ... ويذهلها قوله انه لا يعرف !

— لا تعرف ؟!

— الواقع ليدى براكنل أننى فقدت والدى اذ أنا طفل صغير .. أو أنهما على الأصح قد فقدانى .. ثم عثر علىّ المغفور له مستر توماس كارديو هذا الشيخ النبيل الذى يفيض قلبه بالخير فأخذنى وتبنانى ومنحنى اسم ورذنج .. فقد تصادف أن كانت بجيبه تذكرة سفر الى ورذنج فسمانى هذا الاسم الظريف ... وقد عثر على فى حقيبة يد ضخمة يا ليدى براكنل.. وجدها فى مخزن الأمانات بمحطة فكتوريا ...

وتستنتج ليدى براكنل من هذا الحديث العابر أن المتقدم الى ابنتها ان هو الا لقيط لا يعرف أحد له أبا أو أما ... وتشترط عليه ان كان يريد لهذه الزيجة أن تتم أن يبحث له ، وبمنتهى السرعة ، عن أب أرستقراطى محترم ، وعن أم من طبقة لها مقامها ومكانتها ، وأن يتم ذلك قبل انتهاء موسم الزواج (!)

وتنصرف ليدى براكنل شامخة مختالة .. ويدخل آلچى فيقول له چاك انه لم يلق فى حياته قط غولة كهذه الغولة التى يسميها آلچى خالته ... واذا اعتذر لآلچى عن وصفه خالته بأنها غولة طمأنه آلچى بقوله :

— اطمئن بالا يا صديقى العزيز فانه ليطيب لى الاستماع الى السباب ينصب على رؤوس أقاربى ... لأنه الشىء الوحيد الذى يربطنى بهم ! ...

ويستدرج آلجى صديقه چاك حتى يعلم منــه أن سيسلى فتاة بارعة الجمال وأنه لم يخبرها أن له — أى لچاك — اسمين ... چاك فى المدينة وارنست فى الريف .. وأن ارنست — هذا الأخ الذى اخترعه چاك اختراعا — لا يزال موضع الهوى من نفس سيسلى ، وأن جويندولين سوف تصبح لها صديقة وفية حينما يتم زواجها من چاك — الذى لا تعرفه جويندولين الا باسم ارنست .. وأن چاك ، منعا للبس ، يستطيــع أن يبيــد ارنست الخيالى من روع سيسلى بادعائه عند الضرورة أنه قد مات وشبع موتا ، حينما أصابته نوبة برد شديد .

ثم تدخل جويندولين ، فتطلب الى آلجى أن يعطيها الفرصة لتتحدث الى حبيبها ارنست (أى چاك أرجوك أيها القارىء !) على انفــراد ... فيتوجه چاك نحــو المدفأة .. وهنــا تبدى جويندولين تخوفها من ألا يتم لهمـــا ما يتمنيانه من زواج ، وتقول انها ستبقى على وفائها ، بل عبادتها له ، حتى اذا تزوجت غيره .. ثم تسأله عن عنوانه بالريف فيخبرها به .. وهنا يتناول آلجى الخبيث قلما ويكتب العنوان على كم قميصه لأمر سنعلمه فيما بعد .. ويقول چاك انه باق بالمدينة الى يوم الاثنين ، فيبتهج آلجى لهذا أيضا ... وتقول جويندولين انها ستتصل به يوميا ، وأنهما سوف يلتقيان حتى بعد زواجها من غيره ..

ثم يسمحان لآلچى بأن يدير وجهه فيفعل .. وتنصرف جويندولين ، ويخرج چاك لوداعها .. وهنا يدعو آلچى خادمه (لين) فيأمره باعداد حقيبة سفره .. واعداد أبهى حلله وأشدها أناقة .. لأنه ينتوى رحلة قصيرة من أجل : التبنبر !

وما هو التبنبر ؟

أى القيام بدور شخصيته المستعارة باسم بنبرى Bunbury .



وفى الفصل الثانى نكون فى منزل سيسلى التى نراها وهى تحاور مربيتها مس پرزم التى تقوم على تثقيفها وتعليمها ... انها لا تكاد تدع علما من العلوم ولا لغة من اللغات ولا فنا من الفنون الا علمتها اياه .. ثم يتحدثان عن العم چاك — الوصى على سيسلى — وعن أخيه الموهوم ايرنست الذى تعشقه الآن سيسلى وتود لو يأتى به وليها چاك لكى تنعم برؤياه ، ولكى يعالج من مرضه ... ثم يدخل عليهما أحد رجال الدين .. هذا القس كانون تشوزيبل .. الذى نلاحظ أنه رجل مشغوف غراما بمس پرزم .. وأنه جاء ليقطف نظرات منها ، وأنه يود لو كان تلميذا لها ليتعلق بشفتيها (!)

ويوقظ الفاجر ما نام من الهوى فى قلب المربية فتذهب معه يتمشيان لحظة ويتركان سيسلى تضحك عليهما ، وترثى لحالهما مما يفعل الحب .

ثم يدخل الخادم وقد حمل بطاقة عليها اسم : ارنست وردنج!

آه ! يا للمفاجأة ..

ان سيسلى تأذن له بالدخول .. انه منية القلب وفتى الأحلام .. ولعله لم يعلم أن أخاه چاك لم يصل بعد من المدينة .. ولكن .. لا بأس .. فمن الممكن أن تعد له حجرة مريحة وثيرة ليقيم بها حتى يعود أخوه .

ويدخل هذا المستر ايرنست وردنج .. فاذا هو صاحبنا آلچى ! آلچى هذا العفريت الذى أراد أن يعبث بصديقه چاك مستغلا أخاه الخيالى ايرنست الذى لا وجود له ، والذى تهواه سيسلى بسبب ما سمعت عنه من عبثه وشقاواته مع الحسان .

ويدخل العفريت رافعا قبعته وهو يتساءل عما اذا كانت الآنسة سيسلى هى ابنة عمه الصغيرة ؟ وتؤكد له سيسلى أنها

هى بعينها ، وأنها لا ترى فيه هذا الطائش المستهتر الذى وصفه عمها چاك ، الذى يعتزم ارساله إلى استراليا لاصلاحه ...

ثم تبدأ سلسلة من الغزل اللطيف والملح الحلوة ينصب آلچى الخبيث شراكها للفتاة ... ثم اذاهما يغادران المكان الى الداخل .. ثم اذا نحن نرى القس العاشق يعود فى صحبة مس پرزم وهما يثرثران عن الزواج وعن الجاذبية ... لكنهما يفاجآن بعودة چاك الذى لبس ثياب الحداد .. لقد عاد ولم يحن يوم الاثنين بعد ، اليوم المضروب لعودته .. فماذا عاد به يا ترى؟ ويسأله القس وتسأله مس پرزم فيقول ان أخاه ارنست قد مات .. مات اثر نوبة شديدة من البرد .

ثم يدور حديث يرد فيه شيء عن التعميد فيسأله چاك عما اذا كان الدين يجيز تعميد الكبار ان كانوا لا يذكرون أنهم قد عمدوا وهم أطفال ؟ ويكون جواب القس بالايجاب ، فيفرح چاك ويتفقان على الميعاد الذى يذهب فيه چاك الى الكنيسة لأداء هذه الشعيرة الدينية .

ثم نفاجأ بدخول سيسلى التى تلقى عمها چاك فتدهش لعودته المفاجئة هذه ، والتى تعجب لهذه الملابس الكئيبة التى يرتديها ... انها تلح عليه فى الذهاب لتغييرها ، لأن أخاه ..

أجل .. أخاه ايرنست قد وصل الساعة من غربته ، وغير خليق به أن يلقاه بهذه الملابس الكئيبة ...

ويسقط فى يد چاك ... وتبدو الحيرة فى وجـــه القس العاشق ، وفى وجه المربية الولهانة ..

وينكر چاك أن له أخا ... وتظن سيسلى أنه ينــكر أخاه ايرنست لبشاعة ما حدثها به عن سلوكه وألوان طيشه فتدافع عنه دفاعا حارا ، وتقول انها تضمن أن يغير ايرنست من هــذا السلوك لكى يصبح ملكا كريما مهذبا .. ثم تخــرج لتحضر ايرنست ... فاذا هى تعود ومعها العفريت آلچى ...

ويفهم چاك الملعوب كله ! لكنه يظــل مقطبــا بالرغم من توسل سيسلى اليه أن يبتسم وأن يصفح لأخيــه وأن يحسن لقاءه ، ولا سيما أن هذه هى المرة الأولى التى يأتى فيها للزيارة . ويسألها چاك عما اذا كان هذا الأيرنست العزيز قد حدثها عن أخيه بنبرى الكريم ؟ وتقول الفتاة انه قد تحدث اليها عنـــه بالفعل ، لكن الزمن كفيل باصلاح سيئات الناس جميعا . ثم تعود فتلح عليه فى مصافحة ايرنست .. أعنى آلچى الخبيث .. فيفعل وهو يكاد ينشق من الغيظ .

ويخرج الجميع ... الا چاك والا آلچى ... اللذان يأخذان

فى حوار لطيف يطلب فيه چاك من صاحبه أن يستعد للرحيل فورا .. وفى قطار الرابعة .. لكن آلچى يقول له ان غرام سيسلى قد ملك عليه قلبه ... لقد جاء مازحا ، لكن المزاح انقلب فصار جدا .. ثم ان سيسلى تبادله حبا بحب ، وليس من حق چاك مهما كان وصيا عليها أن يتدخل فى أمور قلبها .

ويخلو المكان مرة ثانية لآلچى وسيسلى فاذا هما يتعاهدان على الزواج ، واذا سيسلى تقول انها مرتبطة بالزواج منه منذ ثلاثة أشهر ... أى قبل أن تراه بثلاثة أشهر .. وذلك منذ أن صافح اسمه العذب أذنيها ، وأنها تكتب اليه خطابات طويلة مسهبة منذ ذلك التاريخ ، وان لم ترسل اليه منها شيئا ... وأنها كانت تحلم منذ صباها بأن تكون معشوقة لشخص يكون اسمه ايرنست ... الخ ...

ويستأذنها آلچى الخبيث فى نصف ساعة يقضى فيها بعض الشئون الخاصة بزواجهما ، حتى اذا انصرف دخل الخادم معلنا حضور فتاة تدعى مس فرفاكس .. التى هى جويندولين..حبيبة چاك ...

ولا تمضى لحظات حتى تتعارف الفتاتان .. وتقول سيسلى انها لا تزال صغيرة السن ولما تبلغ سن الرشد بعد ، وأن مستر

وردنج (أى چاك .. حبيب جويندولين) هو الوصى عليها ..

وتدهش جويندولين ، لأن چاك لم يخبرها قط بأنه وصى على أحد ... چاك الذى تعرفه باسم مستر ايرنست وردنج ... وتذكره بهذا الاسم أيضا لسيسلى ، التى تستوقفها قائلة :

— معذرة يا جويندولين ... أقلت ايرنست ؟

— نعم

— ولكن مستر ايرنست وردنج ليس هو الوصى على ... ولكن الوصى هو أخوه الأكبر ...

ويثور الوسواس فى صدر كل من الفتاتين .. لأن ايرنست هو حبيب كل منهما وأمنيتها فى الحياة ... ايرنست الذى هو چاك نفسه وحبيب جويندولين ... ثم ايرنست الذى لا وجود له والذى اخترعه چاك ليكون حجة له فى الانفلات الى المدينة كلما شاء التسلية وجرى وراء المتعة ، والذى عشقته سيسلى (على السماع !)

ثم لا تلبث الشحناء أن تدب بين الفتاتين .. ويكاد الأمر أن يبلغ بينهما حد المشاجرة ، وترمى كل منهما أختها بأنها محتالة تحاول الاستيلاء على حبيبها بالكذب والخداع ... وابتزاز مال الغير بدون وجه حق .

ثم يدخل چاك ....

وتندفع جويندولين نحوه فيهم بتقبيلها ... لكنها تنحيه لتسأله عما اذا كان حقا مرتبطا بخطبة تلك الفتاة ؟ ... وتشير نحو سيسلى .

ويضحك چاك ، وينفى أنه مرتبط بأية خطبة لغير جويندولين ... ثم يسألها عما ألقى بذلك الوهم فى روعها ؟ !

ويطمئن بال سيسلى ، وتدرك أن شيئا من سوء الفهم هو الذى أدى الى كل ما حدث ... ولأول مرة تعرف أن حبيبها ارنست ليس شخصا آخر غير مستر چاك ورذنج عم سيسلى والوصى عليها

وهنا يدخل آلچى ، يدخل دون أن يلاحظ وجود أحد غير سيسلى .. التى يجرى نحوها لكى يقبلها .. لكنها تتراجع ... وتسأله عما اذا كان حقا مرتبطا بخطيبته لتلك الفتاة .. جويندولين ؟

ويضحك آلچى ، وينفى التهمة عن نفسه ، فتسمح له سيسلى بتقبيلها .. بينما تقول لها جويندولين ان الفتى الذى يقبلها ان هو الا ابن خالتها .. مستر آلچيرنون مونكريف !

ولأول مرة تعرف سيسلى أن حبيبها ارنست يسمى آلچيرنون.. وآلچيرنون مونكريف على وجه التحديد

وللمرة الأولى أيضا يعترف چاك للفتـاتين أنه لا يسمى ايرنست ، وأنه ليس له أخ يسمى ايرنست

وتنصرف الفتاتان لبعض شأنها .. ويخلو المكان لكل من چاك وآلچى ليثرثرا ثرثرة مضحكة عما قام به كل منهمـا من هذه الشقاوات ... ثم يثيران موضوع التعميد استعدادا لعقد قرانهما على أسس دينية سليمة !



وفى الفصل الثالث ، والأخير ، نكون فى غرفة أخـرى من غرف منزل سيسلى .. ونكون مع الفتاتين سيسلى وشيطانهـا الأحمر آلچى ، وجويندولين ، وشيطانها الأزرق چاك ؛ وقـد شرعت كل فتاة تناقش صاحبها عما دعاه الى جميع أمور الشيطنة هذه .. ويشرع كل من الشابين فى الاعتراف بالحقائق كلها ... ثم تكون المشكلة فى نظر الفتـاتين هى حبهما للاسم اللطيف العزيز الرشيق ايرنست .. اسم الأحلام الغرامية التى أضفتهـا كل منهما على فتاها ومنية نفسها ، فيقول الفتيان ! انهما قـد اتفقا على أن يعمدهما القس تشـوزيبل من جـديد توطئـه

للزواج المرتقب وأن فى الامكان اختيار الاسم الذى يروق كلا منهما .. ثم يرتمى كل من الفتيين فى ذراعى فتاته يلثم شفتيها .

وهنا .. تدخل ليدى براكنل ! والعياذ بالله من ليدى براكنل هـذه !

ان ليدى براكنل تطلب تفسيرا لهذه القبل من ابنتهـا جويندولين ، وقد منعتها أمها من لقاء جاك حتى يبحث له عن أب أو أم أرستقراطيين .. ولكن جويندولين تجيب بأنها مخطوبة لفتى أحلامها .. وتستدير الأم نحو جاك لتقول له ان اختفاء ابنتها ، وعلمها بأنها هنا فى ذلك البيت جعلها تطير اليه لتعيدها الى منزلها ، وانها تنذر جاك من جديد بأن يقطع ما بينه وبين ابنتها ... وأنها لا تقبل ما يحتج به مما تعهد به لابنتها من هذه الخطبة المزعومة .

ثم تترك جاك ، وتأخذ فى مناقشة آلجى ، ابن أختها هـذا العفريت الأحمر ... وتسأله عن صاحبه بنبرى العزيز .. فيقول انه قـد مات .. أودى به انفجـار فمات واستراح من حالته الميئوس منها .. ثم تسأل عن هذه الفتاة التى يأخذ آلجى بيدها بتلك الطريقة الناعمة العجيبة ، فيقول جاك انها الآنسة سيسلى كارديو ، وأنه هو الوصى عليها ، وأنها مخطـوبة لصـديقى مستر آلجى .

وبعد عاصفة من المناقشـــات المضحكة اذا ليدى براكنـــل تسأل عما اذا كانت سيسلى .. أو مس كارديو .. تملك ثروة لها قيمتها ؟ .. ويجيبها چاك بأنهـــا تملك مائة وثلاثين ألفـــا من الجنيهات ... ولا يكاد يقول هذا حتى تصبح سيسلى فى نظرها أجمل الفتيات وابنة أرقى الأسر العريقة والجديرة بكل ثناء ، والجديرة أيضا بخطبة ابن أختها آلچى .. وأن الزواج يجب أن يتم بأقصى سرعة .

ويتدخل چاك فيقول انه بوصفه وصيا على سيسلى يرفض أن يتم هذا الزواج ، لأن آلچى فتى مفلس سيىء السلوك .. وله سطوات يخشى منها على الفتاة التى أؤتمن هو عليها ... ثم يشرح لها ما كان من احتيال آلچى وتلصصه ، واغرائه لـسيسلى القاصر .

ثم يحضر القس الذى استبطأ حضور كل من چاك وآلچى الى الكنيسة ليجرى لهمـــا مراسم التعميـــــد فتدهش ليدى براكنل .. لأن ابن أختها آلچى قد عمد وهو صـــغير وانتهى الأمر .. ففيم كل هذا الاسراف وبعثرة الأموال فيما لا يجدى .

ثم يجرى ذكر مس پرزم على لسان القس فتســـأله ليدى

براكنل فى انذهال عمن عسى أن تكون هذه المس ... برزم .. فاذا أوضح لها القس من تكون مس برزم طلبت الليدى أن تراها فى الحال ..

وتحضر مس برزم ، وتعتب على حبيبها القس تباطآه فى الحضور اليه على طول انتظارها .. لكنها ترى فجأة ليدى براكنل .. فاذا هى تقف جامدة متخشبة .. وكأنها قد رأت عزرائيل رأى العين !

ان ليدى براكنل تسأل مس برزم عما صنعت بذلك الطفل الذى خرجت به منذ ثمانى وعشرين سنة لتتيح له شيئا من الرياضة عندما كانت مربية له فى دار أبيه فلم تعد به من يومها ! أين هو ؟ لقد حير أمره ، وأمرها أيضا ، كل رجال البوليس !

« ولقد عثر البوليس بالعربة ، لكنه لم يعثر بالطفل .. فأين .. تكلمى ! »

وتتكلم مس برزم .. وتشرح اللغز الهائل .. لغز حياة چاك المسكين !

تقول مس برزم انها عندما خرجت بالطفل كانت قد أخذت معها حقيبة كبيرة تضع فيها مخطوطة المؤلف الذى كانت تكتبه اذ ذاك .... ثم جلست لتكتب بعض مذكراتها ، ولما انتهت مما

تكتبه اذا هى تنسى نتضع الطفل فى الحقيبـة والمخطوط فى العربة .. وفى شطحة من شطحات الفكر تنسى الحقيبة وتدفع بالعربة أمامها الى المنزل .. وهكذا كان ضياع الطفل !

ولا يكاد چاك يسمع قصة الطفل وقصة الحقيبة وقصـة مخزن الأمانات بمحطة ڤكتوريا حتى يدرك أنه يسمع قصته .. وحتى يسرع الى داخل الدار ثم يعود وفى يده الحقيبة السوداء المذكورة ، وتتبين عليها مس پرزم حروف اسمها .

ويهرع چاك الى مس پرزم يحسبها أمه .. وأمه التى أتت به اثر نزوة من نزوات الشباب (!) ويقول لها حينما يبدو عليها الاضطراب انه يغفر لها ذلك الماضى .. وانه يعفو ويصفح ..

ولكن مس پرزم تطلب من ليدى براكنـل أن تجلو الأمر لمستر چاك .. فلا تملك ليدى براكنل الا أن تبوح لمستر چاك بالحقيقة :

انه ابن أختها مسز مونكريف ! وانه على ذلك شقيق آلچى الأكبر ... وأنهما ابنان لأب واحد .. ولكن .. يا ترى ، من هو هذا الأب ؟ هذه هى المشكلة ..

ويجرى چاك الى أرفف المكتبة يبحث فيها عن قوائم ضباط

الجيش ... فلقد ذكروا أن أباه كان ضابطا عظيما فيه .. ثم يظل يقلب وينقب حتى يجد اسم : « ايرنست چون » فيكاد يجن من الفرح ..

ويصيح بحبيبة قلبه جويندولين :

— جويندولين .. ألم أقل لك ان اسمى ايرنست ، وأننى عمرى ما قلت لك الا الصدق !

ويبهت الجميع .. ويتقدم كل حبيب الى حبيبته يعانقها ..

حتى القس الذى يأخذ مس پرزم ملء ذراعيه .

وينسى أن يعمد أحدا .. فلقد عمد الجميع منذ زمان بعيد.



وهذه هى الملهاة الخفيفة ، أو المهزلة اللطيفة التى جعل منها ويلد سيمفونية ساحرة تخلب الألباب بجمالها ، فاذا بحثت فيها عن موضوع لم تجده لأن أنصار الأدب الجمالى — كأنصار الفن الجمالى لا يخضعون أدبهم أو فنهم لدنيا المشاكل وقضايا الحياة .. انما هم يصنعون جمـــالا .. ثم لا بأس أن يخرجوا لخصومهم ألسنتهم من خـلال العمـــل الفنى ليسخروا منهم وليستهزئوا بهم .. وبأهل العلية من المجتمع ، وبأدعياء العلم ، والمتطفلين على موائد المرفة ، ومن لم يصلوا الى قمة الجـاه

الا لكونهم فارغين من كل ما يشرف الانسان . وأنت لا تكاد تجد صحيفة من تلك المسرحية الضاحكة أو غيرها من مسرحيات ويلد أو قصصه خالية من جوامع كلمه ومفارقاته : ومن ذلك مثلا سخريته بالثقافة العصرية حيث يقول : ان الثقافة العصرية تقوم فى الغالب على ما لا ينبغى للمرء أن يقرأه !

أو قوله فى الحياة العصرية والأدب الحديث : قلما تكون الحقيقة شيئا خالصا لا تشوبه شائبة ، وقلما تكون بسيطة . وان الحياة العصرية لتكونن جد مملة لو كانت الحقيقة احداهما، وليكونن الأدب الحديث فى حكم المستحيل كل الاستحالة اذا كان هذا أو ذاك .

أو قوله فى سقم أذواق المستمعين للموسيقى : انك تعلمين أنه اذا عزف الانسان موسيقى لم ينصت له الناس ، واذا عزف موسيقى رديئة لم يتحدث منهم أحد .

أو قوله على لسان ليدى براكنل فى مدح الجهل : انى لا أوافق على أن تشوب الجهل الخالص أية شائبة ، فالجهل أشبه شيء بفاكهة رقيقة مستوره ، اذا مستها ذهبت عنها نضارتها .. ان نظريات التربية الحديثة فى انجلترا فاسدة من أساسها ، ومن حسن الحظ أن التعليم عندنا لا تأثير له ، والا لكان خطرا داهما على الطبقات الراقية .

أو قوله فى المتاعب على لسان آلچى : انى أحب المتاعب لأنها الأشياء الوحيدة غير الخطرة .

أو وصفه لمبلغ علم القس تشوزيبل : ان دكتور تشوزيبل رجل من أوسع الناس علما وأشدهم تبحرا فى المعرفة .. انه لم يؤلف فى حياته كتابا واحدا ، ومن ثمة تستطيع أن تتخيل عظم ما بلغ من العلم .

أو قوله وهو يغمز من يدسون أنوفهم فيما لا يعنيهم : ان من العادات السوقية أن يتكلم الانسان فيما يعنيه (!) وسماسرة البورصة هم وأمثالهم هم الذين يفعلون هذا .



ثم وقعت الواقعة المؤسفة ، وسيق الكاتب الظريف الى سجن Wandsworth ، ثم الى سجن ، Reading حيث ظل يتجرع الهوان وأسوأ ضروب المعاملة من مديره الشيطان الذى حرمه من نعمة الكتابة والقراءة حتى توسط بعض أصدقاء ويلد فنقل المدير وسمح له المدير الجديد بهما فكتب كتابه : من الأعماق De Prof_ndis ، الذى هبت على روحه فيه نفحات من الدين والذى روى فيه أطرافا من حياته ودافع فيه عن نفسه .. لكنها كانت نفحات طارئة لم تلبث

أن تلاشت فى ختام حياة ويلد ، فعاد وثنيا كما كان .. ومات وثنيا كما كان لا بد له أن يموت .. ومما جاء فى كتابه هذا وهو يتحدث عن المسرح :

« لقد تناولت المسرحية ، التى هى أكثر صور الفن موضوعية ، فجعلت منها طريقة شخصية للتعبير عما فى نفسى ، تماما كما تعبر القصيدة الذاتية أو الأغنية وفى الوقت نفسه وسمت مداها ومرماها وأخصبت طريقة رسم شخصياتها »

والظاهر أن ويلد يشير الى الناحية الاجتماعية فى مسرحياته، أو لعله يشير الى ما كان يدور فى خلده أن يفعل ، وما كان يقصد أن يقوم به لو أنسأت المقادير فى عمره ..

يقول بارت كلارك فى كتابه الرقيق : دراسة فى المسرحية الحديثة : « لقد كان ويلد ، أكثر من أى كاتب فى عصره ، يقدر قيمة الأسلوب ويعلى من قيمته . ومسرحياته وان اشتملت من حين الى حين على عينات من اللغة المتكلفة المثقلة بالبهارج ، فان مهزلة كمهزلته « أهمية أن يكون الانسان ايرنست » هى انتصار لا شك فيه للصنعة .. أى التكلف .. انها عمل أراد به صاحبه صراحة أن يكون بهرجا يخطف الأبصار .. وقد كان ويلد من أقدر الكتاب على ابتكار العقدة المسرحية وخلق حيلتها

خلقا ينطوى على المهارة التى لم تتوفر الا لعدد قليل من كتاب المسرح فى جميع عصوره .

وقد كان آخر ما نظمه ويلد قصيدته الأسيفة : أغنية سجن ريدنج ، زنزانة ٣ — ٣ (!)

ولكن هذا موضوع آخر

على أننا لا نستطيع فى ختام هذه الكلمة عن ويلد وعن مسرحيته هذه التى هى آيته الكبرى أن نغفل ذكر حادث السطو الشنيع على تلك المسرحية .. وهو السطو الذى حدث عليها فى السينما المصرية وتمزيق أوصالها والقضاء فى الفيلم المصرى على جميع مزاياها ولا سيما حوار ويلد ومفارقاته البارعة ...

ولن يعجز القارىء — اذا كان قد شهد مهزلة الفيلم المصرى أن يتذكر اسمه بعد الفراغ من قراءة المسرحية .

درينى خشبه

شخصيات المسرحية :

- جون ويرذنج .
- الجيرنن مونكريف
- القس كانون تشوزيبل
- لين : خادم
- ميريمان : رئيس الخدم
- ليدى براكنل
- جويندولن فيرفاكس
- سيسيلى كاردو
- مس پرزم

الفصل الأول

المنظر

(غرفة المعيشة فى شقة « الچيرنن » فى شارع « عاف مون » الغرفة مؤثثة على نحو فنى مترف • يسمع صوت بيانو من الغرفة المجاورة • « لين » الخادم يعد على المائدة شاى العصر • وبعد أن تتوقف الموسيقى ، يدخل الچيرنن) •

الچيرنن : هل سمعت ما كنت أعزف لين ؟

لين : لم أعتقد أن من مقتضيات الأدب أن أتصنت يا سيدى .

الچيرنن : يؤسفنى ذلك ، من أجلك . أنا لا أعزف العزف المضبوط .. كل انسان فى مقدوره أن يعزف العزف المضبوط . انما أعزف أنا بمقدرة تعبيرية رائعة . وحين يذكر البيانو فان القوة نابعة من عاطفتى . أما الخبرة العلمية ، فانى أدخرها للحياة .

لين : نعم يا سيدى .

الچيرنن : وعلى ذكر الخبرة العلمية فى الحياة ، هل أعددت « الساندوتش » بالخيار لليدى براكنل ؟

لين : نعم يا سيدى (يقدمها اليه على صفحة)

الچيرنن : (يتفحصها ، يتناول اثنتين ، ويجلس على الأريكة) آه ! ... على فكـرة لين ... تبينت فيمـا ورد بدفترك عن مساء الخميس الماضى ، عندما كان لورد شـومان ومسـتر وردنج يتنـاولان العشاء معى ، أنك قيدت ثمـانى زجاجات من الشمبانيا على أنها قد استنفدت .

لين : نعم يا سيدى . ثمانى زجاجات ومائة وعشرين جراما من الزجاجة التاسعة .

الچيرنن : ما السر فى أن الخـدم فى بيوت العزّاب ، هم وحدهم بلا استثناء ، الذين يشربون الشمبانيا دائما أبدا ؟ اننى أسأل لمجرد العلم .

لين : اننى أعـزو ذلك يا سيدى الى امتيـاز نوع الشراب . لقد طالما لاحظت أن الشـمبانيا فى بيوت المتزوجين ، ينـدر أن تكون من الصنف الممتاز .

الجيرنن : اللهم لطفك . أيكون الزواج مفسدا للمزاج الى هذا الحد ؟

لين : أعتقد أن الزواج حال مرضيـة يا سيدى . أنا شخصيا لم يكن لى به حتى الآن غير تجـربة يسيرة . لم أتزوج غير مرة واحـدة . كان ذلك نتيجـة لسوء تفاهم وقع بينى وبين احـدى الفتيات .

الجيرنن :(فى فتور) لست على يقين من أن حياتك العائلية مما يشوقنى معرفته يا لين .

لين : كلا يا سيدى . فما هى بالأمر الشـائق . أنا شخصيا لا أفكر فيها أبدا .

الجيرنن : أنا متأكد من ذلك . انه أمر طبيعى جدا . هـذا يكفى لين . أشكرك .

لين : الشكر لك يا سيدى

(لين يخرج)

الجيرنن : ان آراء لين فى الزواج آراء فجة . حقا اذا كانت الطبقات الدنيا لا تضرب لنا مثلا نحتذيه ، فما جدوى وجودها على الأرض ؟ يبدو أن أولئك

الناس من حيث هم طبقة فى المجتمع ، ليس لهم على الاطلاق أى شعور بالمسئولية الخلقية .

(يدخل لين)

لين : مستر « ايرنست ورذنج »

(يدخل چاك · ويخرج لين)

الچيرنن : كيف أنت يا عزيزى ايرنست ؟ ما الذى أتى بك الى المدينة ؟

چاك : أوه ، طلب السرور ، المتعة . أى سبب غيرهما يأتى بالانسان الى أى مكان ؟ آلچى . أرى أنك تأكل كعادتك دائما .

الچيرنن : (فى جفاف) أعتقد أنه من المتبع فى المجتمع الراقى أن يتناول الانسان طعاما خفيفا يتخلل به فى الساعة الخامسة . أين كنت منذ الخميس الماضى ؟

چاك : (جالسا على الأريكة) فى الريف .

الچيرنن : وأى شىء — بالله عليك — تفعل هناك ؟

چاك : (خالعا قفازيه) عندما يكون الانسان فى المدينة فانه يسلى نفسه . وعندما يكون الانسان فى

الريف ، فانما يسلى غيره من الناس . وهذا أمر
مرهق للغاية .

الجيرنن : ومن هم الناس الذين تسليهم ؟

جاك : (فى خفة) ، الجيران ، الجيران .

الجيرنن : أوجدت جيرانا ظرفاء بناحيتكم النائية بمقاطعة شور بشاير ؟

جاك : بل فى غاية السماجة . انى لا أكلم أحدا منهم ألبتة .

الجيرنن : يا لها من تسلية عظيمة لهم (يقف فيأخذ شيئا من الساندوتش) على فكرة ، شوربشاير هى اقليمكم . أليس كذلك ؟

جاك : اه ؟ « شوربشاير » تقول ؟ نعم بالطبع . هاللو ! لم يا ترى كل هذه الأقداح ؟ ولمن الساندوتش بالخيار ؟ ولماذا يكون كل هذا الاسراف المستهتر من شاب فى مقتبل العمر مثلك ؟ من القادم لتناول الشاى ؟

الجيرنن : أوه ! ليس غير الخالة أوجستا و جويندولين

جاك : هذا شىء ظريف جدا . يا له من خبر سار .

الجيرنن : نعم انه لأمر ظريف جدا . غير أننى أخشى ألا تقر الخالة أوجستا وجودك هنا .

جاك : هل لى أن أسأل لماذا ؟

الجيرنن : يا صديقى العزيز ، ان الطريقة التى تغازل بها جويندولين صارخة ومثيرة للاشمئزاز . انها تكاد تضارع فى السوء طريقة « جويندولين » فى مغازلتها لك .

جاك : انى انما أحب جويندولين . قد جئت الى المدينة خاصة لأطلب يدها .

الجيرنن : ظننتك جئت فى طلب اللهو والمتعة . أما هذا فهو عندى مصلحة .

جاك : لكم أنت خلو من الشاعرية .

الجيرنن : فى الحق أنى لا أرى فى طلب الزواج أية شاعرية. الشاعرية كل الشاعرية فى أن يكون الانسان عاشقا . ولكن لا شىء من ذلك البتة فى خطبة محددة . فقد يقبل الخاطب زوجا . وهو عادة ما يقبل على ما أعتقد . وعندها سرعان ما تخمد اللهفة . ان جوهر الشاعرية فى الحب ، أن يظل

الأمر معلقا بين الشـك واليقين . لو حدث لى يوما ما أن تزوجت ، فانى بكل تأكيد سأحاول أن أنسى هذا الذى وقع .

چاك : ليس عندى أى شك فى ذلك يا عزيزى آلچى . ان محكمة الطلاق قد ابتدعت خصيصا لمن كان لهم مثل هذه العقلية الغريبة التركيب .

الچيرنن : أوه ! لا فائدة من التباحث فى هذا الموضوع . فالطلاق انما يتم فى السماء

(يمد چاك يده ليأخذ ســاندوتش ، فيتدخل الچيرنين على الفور)

أرجوك ألا تمس ساندوتش الخيار ، فانها معدة خصيصا للخالة « أوجستا » .

(يتناول واحدة ويأكلها)

چاك : ولكنك ما انقطعت أنت عن أكلها طوال الوقت .

الچيرنن : ان الوضع يختلف كل الاختلاف . فهى خالتى .

(يأخذ طبقا من الرف الأسفل للمنضدة)

تفضل ، اليك بعضا من الخبز المزبد . ان الخبز المزبد معد « لجويندولين » . فهى تهيم به عشقا.

جاك : (متقدما الى المنضدة ليتناول شيئا) وانه لطيب جدا هذا الخبز المزبد .

الجيرنن : رويدك يا صديقى العزيز رويدك . أنت تأكل بطريقة توحى بأنك ستجهز على كل شىء . ان طريقتك فى الأكل توحى بأنك قد أصبحت زوجها فعلا . مع أنك لم تتزوجها بعد . وأعتقد أنك لن تتزوجها أبدا .

جاك : يا للشيطان ! أى شىء يدفعك الى هذا القول ؟

الجيرنن : يدفعنى اليه ، فى المقام الأول ، أن البنات لا يتزوجن أبدا من الرجال الذين يغازلن . انهن لا يجدن ذلك من الصواب فى شىء .

جاك : أوه . هذا كلام فارغ .

الجيرنن : ليس بالكلام الفارغ . بل انه لحقيقة كبرى . وهذا هو علة وجود ذلك العدد الضخم من العزّاب الذين يراهم الانسان فى كل مكان هنا فى لندن . ثانيا : لأن هذا الزواج لن ينال موافقتى .

جاك : موافقتك ؟

الجيرنن : يا صديقى العزيز . ان « جويندولين » ابنة خالتى . وقبل أن أسمح لك بالزواج منها يتحتم عليك أن تصفى موضوع « سيسيلى » .

(يدق الجرس)

جاك : سيسيلى ؟ أى شىء تعنى يا للشيطان ؟ ماذا تعنى يا آلجى بسيسيلى ؟ انى لا أعرف أحدا اسمه سيسيلى .

(يدخل لين)

الجيرنن : ناولنى علبة السجائر التى خلفها مستر «ورذنج» فى غرفة التدخين آخر مرة تناول فيها هنا طعام العشاء .

لين : أمرك يا سيدى .

(يخرج لين)

جاك : أتعنى أنك احتفظت عندك بعلبة سجائرى طوال هذا الوقت ؟ وددت لو أنك أبلغتنى ذلك . لقد أرسلت رسائل هوجاء الى اسكوتلانديارد فى شأن تلك العلبة . كنت على وشك أن أخصص جائزة ضخمة لمن يأتينى بها .

الچيرنن : ليتك تفعل ... فانى الســاعة أشد افلاســا من المعتاد .

چاك : لا معنى لتخصيص جائزة ضخمة لشيء قد عثر عليه فعلا .

(يدخل لين بعلبة السجائر موضوعة على صينية . يبادر « الچيرنين » فيأخذها ويخرج لين)

الچيرنن : أرانى مضطرا الى القول بأن ذلك صغار منــك ايرنســـت . (يفتح علبة السجائر ويتفحصها) على أى حال ، لا يهم ، لأننى بقراءتى الآن ماهو منقوش عليها فى الداخل ، أتبين فى النهاية أنهــا ليست علبتك .

چاك : بل هى لا محالة علبتى (مقبلا عليه) لقد رأيتها بين يدى مائة مرة ، وليس لك مطلقا أى حــق فى قراءة ماهو منقوش بداخلها . انه لمن غير اللائق بنبيل : « بجنتلمان » ، أن يقــرأ المكتوب على علبة سجائر خاصة .

الچيرنن : أوه ! انه لمن السخف أن تتخــذ قواعد ثابتــة جامدة ، فيما يجب أن يقــرأ المرء وما يجب الا

يقرأ . ان الثقـــافة العصرية يقوم معظمها على ما لا ينبغى للمرء قراءته .

چاك : انى على علم تام بالحقيقة . وما بى من رغبة فى مناقشة الثقافة العصرية . فما هى بالشىء الذى يتحدث فيه الناس فى مجالسهم الخاصـــة . انى بكل بساطة أريد أن ترد الىّ علبة سجائرى .

الچيرنن : نعم .. ولكنها ليست علبة سجائرك . هذه العلبة هدية من شخص ما اســمه سيسيلى . وقــد قلت انك لا تعرف أحدا بهذا الاسم .

چاك : حسن . اذا كنت تريد أن تعرف ، « فسيسيلى » هذه — فيما قضت به الأقدار — خالتى .

الچيرنن : خالتك !

چاك : نعم . وهى امرأة عجوز خفيفة الظل . تعيش فى تمبردچ ولز . فدعنـــا من هذا كله وأعد العلبة الى يا آلچى .

الچيرنن : (مراجعا بحيث يصل الى خلف الاريكة) ولمـــاذا تـسمى نفسها الصغيرة سيـــيلى اذا كانت حقــا

خالتك وتسكن فى تمبردج ولز ؟ (قارئا) من الصغيرة سيسيلى مع مزيد حبها .

چاك : (يذهب الى الاريكة فيركع عليها) يا صديقى العزيز . وما وجه الغرابة فى ذلك ؟ بعض الخالات طويلات وبعض الخالات صغيرات . ذلك أمر ، لكل خالة لا محالة مطلق الحرية فى أن تقرره لنفسها . يبدو أنك تعتقد أن كل خالة يجب أن تكون مثل خالتك تماما . هذا سخف غير مقبول! بحق السماوات أعد الى علبة سجائرى .

(يتبع الجيرنن طائفين حول الحجرة)

الچيرنن : نعم . ولكن كيف تدعوك خالتك عمها ؟ من الصغيرة سيسيلى مع مزيد حبها ، الى عمها العزيز چاك . انى أوافق على أنه ليس ثمة ما يمنع أن تكون الخالة صغيرة ، لكن لماذا تدعو خالة أيا كانت سنها ابن أختها بعمها ؟ هذا شىء لا أفهمه . وفوق هذا فاسمك ليس چاك على الاطلاق . ان اسمك ايرنست

چاك : لا . ليس ايرنست . انما هو چاك .

الجيرنن : كنت دائما تقول لى ان اسمك ايرنست . ولقد قدمتك لكل انسان باسم ايرنست . وانه ليبدو عليــاك أن اسمك ايرنست . فايرنست معنـــاه الجاد ، ولم أر فى حياتى أحدا فى الناس ينطبق عليه مدلول هذا الاسم أكثر من انطباقه عليك . فمن السخف المتناهى أن تقول ان اسمك ليس ايرنست . انه هو المطبوع على بطاقاتك . وهذى واحدة منها (يأخذها من حافظته ويقرأ) مستر ايرنست ورذنج ب ٤ ألبانى . سأحتفظ بهــذه دليــلا على ان اسمك ايرنست ، اذا ما حاولت أن تنكره أمامى أو أمام جويندولين ، أو أمام أى انســـان آخــر .

(يضع البطاقة فى جيبه)

چاك : حسن . ان اسمى ، ايرنست فى المدينـــة . وفى الريف چاك وعلبة السجائر قدمت الى فى الريف.

الجيرنن : نعم . ولكن ذلك لا يفسر حقيقة كون خالتـــك الصغيرة سيسيلى التى تعيش فى تمبردج ولز ، تدعوك بعمها العزيز . هيا أيها الفتى العجوز .

كان من الأفضل لك أن تبادر بقول الحقيقة فورا .

چاك : يا عزيزى آلچى . انك تتحدث تماما كما لو كنت طبيب أسنان . انه لمن عدم اللياقة أن يتحدث الانسان بلهجة طبيب أسنان وهو ليس طبيب أسنان . ان هذا ليقع فى النفس موقع الزيف والتضليل .

الچيرنن : وهذا بالتمام ما يفعله دائما أطباء الأسنان . والآن هات ما عندك . خبرنى بالأمر كله . من حقى أن أصارحك بأننى كنت دائما أشتبه فى كونك « بنبورى » سرى أصيل . ولكنى الآن أقطع باليقين أنك كذلك .

چاك : بنبورى؟ يا للشيطان ماذا تعنى بكلمة بنبورى ؟

الچيرنن : سأكشف لك ما خفى من معنى هذا التعبير الفريد ، حالما يبلغ من تعطفك أن تخبرنى لماذا أنت ايرنست فى المدينة و چاك فى الريف ؟

جاك : حسن . هات علبة سجائرى أولا .

الجيرنن : ها هى ذى . (يقدم علبة السجائر) والآن هات شرحك وبيانك . وعساه أن يكون من غير الجائز تصديقه .

جاك : يا صديقى العزيز . ليس هناك أى شىء غير جائز التصديق على الاطلاق فى شرحى للأمر . بل الواقع أنه عادى تماما . السيد الشيخ « توماس كاردو » الذى تبنانى وأنا طفل صغير ، جعلنى فى وصيته وصيا على حفيدته مس سيسيلى كاردو . وسيسيلى هذه التى تدعونى عمها استجابة لدواعى الاحترام التى لا يمكنك أن تقدر معناها حق قدره ، تعيش حيث أعيش فى الريف . تحت رعاية مربيتها الفاضلة « مس پرزم »

الجيرنن : أين ذلك المكان فى الريف ، على فكره ؟

جاك : هذا أمر لا يعنيك أيها الفتى العزيز . فانك لن تدعى الى هناك . أستطيع أن أقول لك بصراحة تامة ، ان هذا المكان ليس فى شوربشاير

الجيرنن : لقد حذرت ذلك يا صديقى العزيز ! اذ أننى قد سبق لى أن طفت بكل أرجاء « شوربشاير » فى مغامرتين متباعدتين من مغامراتى البنبورية . والآن استمر . لماذا أنت ايرنست فى المدينة و چاك فى الريف ؟

چاك : يا عزيزى « آلچى » ، لست أدرى اذا ما كان بوسعك أن تفهم دوافعى على حقيقتها فانك لست جادا بالقدر الكافى . عندما يعين الانسان وصيا ، يتعين عليه أن يتخلق بالصفات الخلقية السامية فى كل ما يعرض له من الأمور . ان ذلك لمن أخص واجباته . وحيث أن التخلق بالصفات الخلقية السامية ، أمر قد يتعذر معه توفر الصحةوالسعادة ، فلم يكن لى مندوحة —تبريرا لذهابى الى المدينة فى طلبهما — من الادعاء بأن لى أخا أصغر يعيش فى « ألبانى » ، ويتورط كل حين فى شر المشاكل . هذه يا عزيزى آلچى هى الحقيقة برمتها ، فى خالص صدقها وباطلتها .

الچيرنن : قلما تكون الحقيقة خالصة ، وما هى قط

بالبسيطة . وان الحياة العصرية لتكونن جد مملة لو كانت الحقيقة احداهما ، وليكونن وجود الأدب الحديث فى حكم المستحيل كل الاستحالة .

چاك : ذلك لا يكون شيئا سيئا على الاطلاق .

الچيرنن : ان النقد الأدبى ليس هو مجال التفوق عندك يا صديقى العزيز . فلا تحاول الخوض فيه . يجب أن تترك ذلك لمن لم يتلقوا العلم فى جامعة ، فهم يجيدون ممارسته على صفحات الصحف اليومية . انما أنت فى الحق « بنبورى » . كنت على حق تام فى قولى انك كنت بنبوريا . لأنت أحد السباقين فى طليعة البنبوريين الذين أعرف .

چاك : ماذا تعنى بالله من ذلك ؟

الچيرنن : لقد اخترعت لك أخا أصغر كبير النفع اسمه ايرنست . ليكون مبررا يتيح لك التردد على المدينة ما شئت . وأنا قد اخترعت لى مريضا مزمن العلة عظيم القيمة اسمه بنبورى .

اخترعته ليكون مبررا يتيح لى النزول الى الريف كلما شئت . ان بنبورى عنـدى لذو قيمـة لا تقدر . مثلا ، لولا صحته السيئة غاية السـوء، لما كان فى مقدورى أن أتناول العشاء معك الليلة فى ويلز ، لارتباطى منذ أسبوع بتنـاوله عند خالتى أوجستا .

جاك : أنا لم أطلب منك أن تتناول معى العشاء الليلة فى أى مكان .

الجيرنن : أعرف . فأنت شديد الاهمال فى توجيه الدعوات الى حد السخف . هذا منك حمق كبير . فمـا يزعج الناس شىء كعدم تسلمهم الدعوات .

جاك : الأفضل لك أن تتعشى مع خالتك « أوجستا » .

الجيرنن : ليس عندى أدنى نية أن أفعل شيئا من هــذا القبيل . أولا : لأنى قد تعشيت هنـاك يوم الاثنين . وحسب الانسـان مرة واحـدة فى الأسبوع لتناول العشاء مع أقاربه . ثانيا : لأننى كلما تناولت العشاء عند خالتى ، عاملتنى دائمـا كأحد أعضاء الأسرة ، وصرفتنى بعد العشاء غير

مصحوب بامرأة على الاطـلاق ، أو فى صحبـة اثنتين . ثالثا : لأنى أعرف تمام المعرفة الى جانب من ستجلسنى خالتى الليـلة . ستجلسنى الى جوار « مارى فاركوهار » التى ما تنفك تغازل زوجها عبر مائدة العشاء . ذلك أمر ما أظنه ينعم النفس بالسرور . بل انه فى الحق لا ذوق فيه ولا لياقة . وهذا الأمر آخـذ فى التفشى والتفاقم الذريع . ان عدد نسـاء لندن اللائى يغازلن أزواجهن قد تكاثر كثرة فاضحة . انه لمظهـر قبيح . انه بمثابة غسل الملابس الداخلية النظيفة أمام الناس . الى جانب ذلك ، فانه من الطبيعى الآن وقـد عرفت أنك بنبورى عريق ، أن يشوقنى التكلم معك عن « البنبورية » . انمـا أريد أن أوقفك على قواعدها .

چاك : ما أنا ببنبورى على الاطلاق . فلو أن جويندولين قبلت الزواج منى لقتلت أخى ، أجـل أحسبنى لا محـالة قاتله على كل حال ، فان سيسيلى مشـغولة البال به أكثر ممـا يلزم ، وهذا ممـا يضـايقنى . فلا مندوحة لى من

التخلص منه . وانى لأنصحك ملحا أن تفعل مثل ذلك مع مستر ... مع صديقك المريض المزمن صاحب الاسم السخيف ...

الجيرنن : ما من شيء يقنعني بالانفصال عن بنبورى . واذا حدث أن تزوجت في يوم من الأيام ، وتلك قضية قيد النظر ، فانك ستكون سعيدا جدا بأن تعرف بدورك بنبورى . الرجل الذى يتزوج دون أن يعرف بنبورى سيقضي ولا شك أوقاتا يخيم عليها الملل والسآمة .

چاك : هراء لا معنى له . اذا ما تزوجت فتاة جذابة مثل جويندولين وهى من بين جميع من رأيتهن في حياتي ، الفتاة الوحيدة التى أرغب الزواج منها — فمن المؤكد أننى لن أكون في حاجة الى أن أعرف بنبورى .

الجيرنن : وعندئذ ستكون زوجتك هي التى تشعر بهذه الحاجة . يبدو أنك لا تفهم أنه في الحياة الزوجية ، تقوم الشركة على ثلاثة ، ولا يمكن قيامها على اثنين .

جاك : « كمن يرسل حكمة من جوامع الكلم »

تلك يا صديقي الصغير العزيز ، هي النظرية التي دأبت المسرحية الفرنسية الفاسدة المنحلة ، على عرضها والترويج لها أطوال الخمسين سنة الأخيرة .

الجيرنن : نعم ، والتي أثبت البيت الانجليزي السعيد صحتها في نصف تلك المدة .

جاك : بحق السماء لا تحاول أن تكون مستخفا ساخرا . فمن السهل أن يكون الانسان كذلك .

الجيرنن : يا صديقي العزيز . ليس من السهل أن يكون الانسان أي شيء في أيامنا هذه . فان التنافس البهيمي في ذلك على أشده .

(يسمع رنين جرس كهربائي) آه : لا بد أنها الخالة أوجستا . ليس في الناس غير الأقارب أو الدائنين وحدهم ، من يدق الجرس دائما هذه الدقة القوية « الفاجنارية » . والآن ، اذا أنا أخليت لك الطريق منها لمدة عشر دقائق تنتهزها فرصة لتعرض على جويندولين الزواج ، أيكون لي عليك أن تدعوني للعشاء معك الليلة في ويلز ؟

جاك : أظن ذلك اذا شئت .

الجيرنن : نعم . لكن يجب أن تكون جادا فى الأمر . انى أكره الذين لا يجدّون فى كل ما يتعلق بوجبات الطعام . ان ذلك دليل على السطحية وقلة العمق.

(يدخل لين)

لين : ليدى براكنل ومس فيرفاكس

(ألجيرنن يتقدم للقائهما . تدخل ليدى براكنل وجويندولين)

ليدى براكنل : يوم سعيد أيها العزيز الجيرنن . أرجو أن تكون سالكا أقوم سبيل .

الجيرنن : أشعر أننى بخير وعافية يا خالة أوجستا .

ليدى براكنل : المدلول هنا ليس واحدا . انهما فى الحق أمران قلما يجتمعان .

(ترى جاك فتنحنى له فى فتور)

الجيرنن : (الى جويندولن) يالله ، أنت أنيقة .

جويندولين : انى دائما أنيقة . أليس كذلك مستر «وردنج» ؟

جاك : انك آية الكمال مس فيرفاكس .

جويندولين : أوه .. أرجو ألا أكون كذلك . فان ذلك لو صح

لم يدع لي أملا في اضطراد الرقي. وهو ما أبتغيه في نواح عديدة لبلوغ الكمال ، واني لأعتزم أن أبلغه .

(جويندولين وچاك يجلسان معا متنحيين ركنا)

ليدى براكنل : آسف أننا تأخرنا قليلا « الجيرنن » . ولكنى اضطررت الى زيارة ليدى «هاربورى» العزيزة. انى ما زرتها منذ وفاة زوجها المسكين . لم أر في حياتي امرأة طرأ عليها مثل هذا التغيير . انها تبدو أصغر من سنها بعشرين عاما كاملة . والآن سأتناول فنجانا من الشاى وواحدا من الساندويتش بالخيار الذى وعدتنى به .

الجيرنن : بكل تأكيد يا خالتى أوجستا .

(يقصد توا الى مائدة الشاى)

ليدى براكنل: ألا تأتين وتجلسين هنا جويندولين ؟

جويندولين : شكرا لك ماما . انى في غاية الارتياح حيث أنا .

الجيرنن : (متناولا طبقا فارغا فى فزع) أيتها السماوات الرحيمة . لين ! لماذا لا توجد ساندويتشات الخيار ؟ لقد أمرت خاصة باعدادها .

لين : (فى لهجة خطيرة) لم يكن هناك خيار بالسوق

هذا الصباح يا سيدى . لقد ذهبت الى هنـاك مرتين .

الچيرنن : لا يوجد خيار !

لين : لا يا سيدى . حتى للذين يدفعون الثمن فورا .

الچيرنن : يكفى ، لين ! أشكرك .

لين : الشكر لك يا سيدى . (يخرج)

الچيرنن : انى فى غاية الضيق والألم يا خالتى «أوجستا» لعدم وجود الخيار حتى للذين يدفعـون الثمن فورا .

ليدى براكنل: ليس لهذا فى الحقيقة أية أهمية « الچيرنن » . لقد تناولت بعضـا من الفطـائر مع ليدى « هاربورى » التى اخالها الآن تحيا كل حياتها للأنس والسرور .

الچيرنن : سمعت أن شعرها قد انقلب لونه أصفر ذهبيـا من فرط حزنها .

ليدى براكنل : من المؤكد أن شعرها قـد تغير لونه . أما بأى سبب ، فأنا بالطبـع ، لا أستطيع تحـديده . (يعبر الچيرنن ويناولها الشاى) شكرا لك . انى

مدخرة لك الليلة مسرة عظيمة الچيرنن . سأهىء لك الانصراف مع « مارى فاركوهار » . انهـا امرأة ظريفة ، وشديدة الاهتمام بزوجها . ان فى مراقبتهما تسلية ممتعة .

الچيرنن : انى أخشى يا خالتى أوجستا مـع كل ذلك ، اننى مضطر الى التخلى عن التمتع بتناول العشاء معكم الليلة .

ليدى براكنل: (مقطبة الجبين)أتمشـم ؟لا تتخلف الچيرنن فان تخلفك سيطفىء بهجة المائدة . ان عمـك مضطر الى تناول العشاء فى الطابق العلوى ، من حسن الحظ أنه اعتاد ذلك .

الچيرنن : اننى متضايق من هذا أشد الضيق . وانى لفى غير حاجة أن أقول انه خيبة أمل مروعة لى . فالواقع أننى قد تسلمت منـــذ قليل برقية بأن صديقى المسكين بنبورى قد ثقل عليـه المرض مرة أخرى .

(يتبادل النظرات مع چاك) وهم بالطبـع يرون وجوب وجودى الى جانبه .

ليدى براكنل: هـذا أمر فى غاية الغـرابة . يظهـر أن مستر

بنبورى هذا يعانى أعجب المعاناة من سـوء حالته الصحية .

الچيرنن : نعم : المسكين بنبورى فى حال مزعجة من المرض المزمن .

ليدى براكنل : حسن الچيرنن ، لا بد لى من القول بأنه فيما أظن قـد آن الأوان لأن ينتهى مستر بنبورى الى قرار نهائى اما أن يحيا ، واما أن يموت . ثم أننى لا أحبذ بحال من الأحوال هذا التقليد العصرى الذى يقضى باظهار العطف على العجـزة من المرضى المزمنين . انى أعـد هذا العطف فى حد ذاته مرضا نفسيا . ان المرض أيا كان نوعه ليس بالشىء الذى يجدر بنا تشجيعه عند الآخرين . الصحة هى أول واجبات الحياة . أنى لا أكف عن ترديد ذلك على مسامع عمك المسكين . ولكنـه لا يبدو عليه أبدا أنه يلقى بالا الى ما أقول . والشاهد على ذلك أنه لم يطرأ على صحته أى تغيير .أكون ممتنة شاكرة لو أنك بلغت رجائى لمستر بنبورى نيـابة عنى أن يتفضـل بألا

يجعل موعد اتكاسه يوم السبت المقبل ، لأنى معتمدة عليك فى اعداد برنامجى الموسيقى . انه آخر استقبال أقيمه . وأنا بحاجة ماسة الى ما يشجع على الحديث بين المدعوين . ولا سيما فى آخر الموسم حيث يكون قد سبق لكل انسان أن قال كل ما عنده . وهو فى معظم الأحوال كلام قليل .

الجيرنن : سأحدث بنبورى فى ذلك يا خالتى أوجستا . ان وجدته لا يزال فى وعيه . وأظننى أستطيع أن أعدك بأنه سيكون بخير يوم السبت . أما الموسيقى ، فأمرها بالطبع صعب عسير الى حد بعيد . فأنت تعلمين ، اذا عزف الانسان موسيقى رديئة لم يتحدث منهم أحد . ولكننى سأعيد النظر فى البرنامج الذى أعددته ، اذا أنت تكرمت بالمجىء معى الى الحجرة المجاورة لحظة من الزمان .

ليدى براكنل : انى شاكرة لك آلجيرنن . هذا من سداد رأيك . (ناهضة تتبع « ألجيرنن ») أنا واثقة من

أن البرنامج سيكون ممتعا بعد اجراء تنقيح بسيط . الأغنيات الفرنسية ليس بوسعى اجازتها فالناس دائما يعتقدون أنها خليعة ماجنة . وهم اما يبدو عليهم الاستنكار لها — وهذا أشبه ما يكون بالعامة — واما يضحكون منها وهذا أسوأ . ولكن الألمانية يبدو من رنين لهجتها أنها لغة وقور محترمة . وانى لمؤمنة بأنها كذلك . جويندولين انك ستلحقين بى ؟

جويندولين : بكل تأكيد يا ماما .

(ليدى براكنيل والچيرنن يدخلان الى غرفة الوسيقى • جويندولن تتخلف عنهما وتبقى)

چاك : يوم لطيف مس « فيرفاكس » .

الچيرنن : أتوسل اليك ألا تكلمنى عن الطقس مستر ورذنج ، فكلما كلمنى الناس عن الطقس تأكدت فى صميم نفسى أنهم يعنون شيئا آخر . وذلك يثير أعصابى .

چاك : فعلا . انى لأعنى شيئا آخر .

جويندولين : هذا ما حدسته ، والواقع أنى لم أخطىء الحدس أبدا .

چاك : وانى لأتمنى أن يسمح لى بانتهاز فرصة غيابه ليدى براكنل المؤقت .

جويندولين : بالتأكيد أنصح لك بأن تنتهز الفرصة . ان والدتى لها أسلوبها فى العودة المفاجئة . الأمر الذى طالما اضطررت الى مراجعتها فيه .

چاك : (بعصبية) مس فيرفاكس . منذ أن رأيتك لأول مرة ، وأنا أعجب بك أكثر من أية فتاة قابلتها قبل أن قابلتك .

جويندولين : نعم . انى لعلى علم تام بهذه الحقيقة . ولكم تمنيت لو أنك كنت فى المجتمعات أكثر اظهارا لهذا الاعجاب على أية حال . أما بالنسبة الى فلقد كان لك فى نفسى سحر لا يقاوم . حتى قبل أن ألقاك كنت مشغولة البال بك .
(« چاك » ينظر اليها فى دهشة) انا نعيش مستر ورذنج — ولعلك عليم بذلك — فى عصر المثل السامية الخيالية . هذه الحقيقة ترددها باستمرار أرفع المجلات الشهرية ثمنا . وقيل لى انها قد وصلت فى انتشارها الى المنابر فى الأقاليم.

ولقد كان من أعز أمانيّ ومثلى التى أرجو أن تتحقق ، أن يكون حبيبى شخصا اسمه ايرنست . ان فى هذا الاسم شيئا يوحى الثقة التامة . فى اللحظة التى ذكر لى فيها الجيرنن لأول مرة أن له صديقا يدعى ايرنست ، عرفت أنه مقدر عليّ أن أحبك .

چاك : أحقا تحبيننى جويندولين ؟

جويندولين : بكل جوارحى .

چاك : حبيبتى أنت لا تتصورين أى انسان سعيد جعلت منى .

جويندولين : ايرنست العزيز .

چاك : ولكن ما أظنك تعنين أنك ما كنت تحبيننى ، لو لم يكن اسمى ايرنست ؟

جويندولين : لكن اسمك ايرنست ؟

چاك : نعم أعرف أنه كذلك . ولكن لنفرض أن كان لى اسم غيره . أتعنين القول بأنك ما كنت لتحبينى اذ ذاك ؟

جويندولين : (فى طلاقة) آه . ذلك ولا ريب بحث فلسفى .

وهو كغيره من البحوث الفلسفية ، لا يمس من قريب أو بعيد حقائق الحياة كما نعرفها .

جاك : أنا شخصيا يا حبيبتى أصـــدقك القول بأننى لا أحفل كثيرا باسم ارنست .. ما أظن هـذا الاسم يناسبنى على الاطلاق .

جويندولين : بل انه يناسبك تمـاما . انه اسم سماوى . له موسيقاه الخاصة . تنبعث منه اهتزازات تهتز لها النفس .

جاك : مع ذلك ، فى الحقيقة ، « جويندولين » يجب أن أقول اننى أعتقد أن هناك أسماء كثيرة غيره ، أجمل منه وأظرف . أعتقد أن « جاك » مثـلا ، اسم جذاب .

جويندولين : جاك ؟ .. كلا فليس فى جرسه من الموسيقى الا النذر اليسير . هذا ان كان فيـه موسيقى على الاطلاق . انه اسم لا يهز النفس . لأنه لا تنبعث عنه أية اهتزازات ... عرفت كثـيرين باسم جاك وهم جميعا بلا استثناء ، كانوا عاديين وأقل من عاديين . يضاف الى ذلك أن جاك هو المرادف الدارج المبتـذل لاسم جـون . وانى لأرثى

لأية امرأة تتزوج من رجل اسمه چون .
انها لن يتاح لها اذا خلت لنفسها أن تشعر لحظة
بالسعادة التى كانت تشعر بها لو كان اسم زوجها
ايرنست . ان الاسم الوحيد الذى يكفل ذكره
السعادة هو ايرنست .

چاك : « جويندولين » يجب اذن أن أُعَمَّدَ من جديد
فى الحال — أقصد أننا يجب أن نتزوج فى الحال.
ليس لدينا وقت نضيعه .

جويندولين : تتزوج مستر ورذنج ؟

چاك : (فى دهشة بالغة) انه ... من المؤكد ، أنت تعرفين
أنى أحبك . وقد جعلتنى أصدق مس فيرفاكس
أنك لم تكونى غير مشغولة البال بى .

جويندولين : اننى أعبدك . ولكنك لم تطلب يدى بعد . لم
يجر على لسانك شىء عن الزواج بالمرة . بل ان
الزواج لم يتطرق موضوعه حتى من بعيد .

چاك : اذن ... تسمحين لى الآن أن أطلب يدك .

جويندولين : أظن أن هذه هى الفرصة الرائعة . ولكى أكفيك
من الآن خشية احتمال الفشل مستر ورذنج ،
أرى من العدل أن أخبرك بصريح العبارة

ومقدما ، أنني مصممة كل التصميم على أن أقبلك زوجا .

چاك : جويندولين !

جويندولين : نعم مستر ورذنج . ماذا تريد أن تقول لى ؟

چاك : أنت تعرفين ما الذى أريد قوله لك .

جويندولين : نعم ولكنك لا تقوله .

چاك : جويندولين . هل تتزوجينني ؟ (يركع على ركبيه)

جويندولين : طبعا . واني لا محالة فاعلة يا حبيبى . لقد أضعتَ وقتا طويلا . أخشى أن تكون من قلة التجربة بحيث لا تعرف كيف يكون التقدم للخطبة .

چاك : يا حبيبتى الوحيدة . انى ما أحببت فى هذا العالم سواك .

جويندولين : أجل ولكن الرجال غالبا ما يتقدمون للخطبة على سبيل التمرين . أعلم أن أخى چيرالد يفعل هذا . كل صديقاتى الفتيات يقلن لى ذلك ؛ ما أبدع زرقة عينيك ايرنست ! انهما زرقاوان — زرقاوان كل الزرقة . أتمنى أن

تنظــر الى هكذا دائمـــا . ولا سيما فى حضره الآخرين .

(تدخل ليدى براكنل)

ليدى براكنل: مستر وردنج ! انهض يا سيدى . دع هـــــذا الوضع المعيب . انك تعنف مضطجع ، ممـــــا لا يتصوره العقل .

جويندولين : ماما ! (يحاول جاك أن ينهض فتثنيه عن ذلك) أتوسل اليك أن تنسحبى فليس لك مكان هنا . والى جانب ذلك فان مستر وردنج لم ينته بعد

ليدى براكنل: ينتهى مم ؟ هل لى أن أسأل ؟

جويندولين : اننى مخطــوبة لمستر وردنج ماما (ينهضان معا)

ليدى براكنل: عفوا فما أنت بمخطوبة لأحد . عنــدما تصبحين مخطوبة لأى انسان ، فأنا ، أو والدك اذا كانت تسمـــح له صحتـــه ، سنخبرك بالأمر الواقع الفتاة الصغيرة يجب أن تفاجأ بخبر خطبتها سواء كانت المفاجأة تسرها أو لا تسرها. أيا كانت الحال، انه لمن غير الجائز أن يسمح لها بأن تتولى هى الأمر بنفسها .. والآن عندى قليل من الأسئلة أوجهها اليك مستر وردنج . وأثنـــاء قيـــامى

أنا باجـراء هــــذه التحريات ، تكونين أنت جويندولين فى انتظارى تحت فى العربة .

جويندولين : (فى مزيج من العتاب والاحتجاج) ماما !

ليدى براكنل: فى العربة جويندولين .

(تذهب جويندولين الى الباب · هى وجاك يتبادلان ارسال قبــــلات فى الهواء من وراء ظهر ليـــدى براكنل · ليدى براكنل تتلفت زائغة النظر وكأنها لم تفهم سر ما تسمع من أصوات · وأخيرا تستدير اليهما)

جويندولين ، الى العربة

جويندولين : سمعا ، ماما ..

(تخرج وهى تتلفت خلفها الى جاك)

ليدى براكنل: (جالسة) يمكنك أن تجلس مستر ورذنج

(تبحث فى جيبها فتخرج مذكرة وقلما)

جاك : شكرا لك ليدى براكنل . انى أفضل أن أظـــل واقفا .

ليدى براكنل: (المذكرة والقلم فى يدها) أرى لزاما على أن أخبرك بأنك لست مدرجا فى قائمتى ضمن الشـــبان الصـــالحين للزواج ، مع أن قائمتى هى نفس

القائمة التى تملكها دوقة « بولتن » العزيزة والواقع أننا نقوم معا بعمل تلك القائمة . وعلى كل حال ، فأنا على استعداد تام لادراج اسمك فى القائمة ، اذا ما كانت اجاباتك موافقة لما تتطلبه أم محبة لابنتها . هل تدخن ؟

چاك : آه نعم . يجب أن أقرر الحقيقة . انى أدخن .

ليدى براكنل : يسعدنى أن أسمع ذلك. فالرجل يجب ألا يكون عاطلا من الشغل أيا كان نوعه . كفى لندن اليوم ماتغص به من الرجال العاطلين . كم تبلغ من العمر ؟

چاك : تسعة وعشرين .

ليدى براكنل : سن ملائمة جدا للزواج . كان من رأيى دائما أن الرجل الذى يبغى الزواج ، عليه أن يعرف كل شىء ، أو لا شىء . فأيهما تعرف أنت ؟

چاك : (بعد فترة تردد) أعرف لا شىء ليدى براكنل .

ليدى براكنل : أنا مسرورة لسماعى ذلك . انى لا أوافق على أن تشوب الجهل الخالص أية شائبة . فالجهل أشبه شىء بفاكهة رقيقة مستوردة . ان تمسها ذهبت

عنها نضارتها . ان نظريات التربية الحديثة جميعها فاسدة من أساسها . ومن حسن الحظ أن التعليم فى انجلترا على كل حال لا تأثير له . والا لكان خطرا داهما على الطبقات الراقية ، ولأدى غالبا الى ارتكاب أعمال العنف فى « جروزفنر سكوير » . كم دخلك ؟

چاك : ما بين السبعة والثمانية آلاف فى السنة .

ليدى براكنل : (تكتب ذلك فى مذكرتها) من الأرض ، أو من أموال مستثمرة ؟

چاك : فى الغالب من أموال مستثمرة .

ليدى براكنل : هذا شىء لا بأس به . فانه بين الضرائب المطلوبة من صاحب الأرض أثناء حياته ، ورسوم التركات المطلوبة بعد مماته ، لم تعد الأرض مصدر ربح أو مبعث سرور . انها تجعل لصاحبها جاها ، ولكنها لا تعينه على الاحتفاظ به . هذا كل ما يمكن أن يقال عن الأرض .

چاك : انى أمتلك بيتا ، وبالطبع قطعة من الأرض ملحقة به . نحو ألف وخمسمائة فدان على ما أعتقد .

على أن دخلى الحقيقى لا يعتمد البتة على ما تنتج تلك الأرض . فالراجح عندى على حسب تقديرى أن المتلصصين ممن يقتلعون الزرع ويقتاتون على الصيد ؛ هم وحدهم الذين يستفيدون من هذه الأرض .

ليدى براكنل: بيت ريفى تقول . ما عدد غرف النوم فيه ؛ هذه النقطة يمكن استجلاؤها على العموم فيما بعد . ولك بيت فى المدينة على ما أرجو ؟ ان فتاة مثل جويندولين فى رقة كيانها وسلامة طبيعتها ، من غير المعقول أن ينتظر منها سكنى الريف .

چاك : أجل ؛ اننى أمتلك بيتا فى « بلجريف سكوير » ولكنه مؤجر سنويا لليدى بلكسهام . وبالطبع أستطيع استرجاعه فى أى وقت أشاء ، اذا أنذرتها بذلك قبل انتهاء العقد بستة أشهر .

ليدى براكنل: ليدى بلكسهام ؛ لكننى لا أعرفها .

چاك : أوه ، انها قليلة الخروج وقلما تغشى المجتمعات . هى سيدة محترمة طاعنة فى السن .

ليدى براكنل: آه ... ليس هذا فى أيامنا عنوانا على استقامة

الحلق ، وضمانا لاستحقاق الاحترام . وما رقم البيت فى بلجريف سكوير ؟

چاك : ١٤٩

ليدى براكنل: (هازه رأسها) معنى ذلك أنه يقع فى الحى العتيق الطراز . حسبت أننا وقعنا على شىء ذى قيمة . على أية حال ، ذلك مما لا يتعذر تغييره .

چاك : أتعنين الطراز ، أم الحى ؟

ليدى براكنل: (فى صرامة) الاثنين اذا لزم الأمر . وما هى عقائدك السياسية ؟

چاك : أخشى ألا يكون لى فى الواقع أية عقيدة سياسية. فما أنا الا من الاتحاديين الأحرار .

ليدى براكنل: انهم يعدون من المحافظين . وهم ممن يتناولون العشاء معنا . أو يزوروننا فى المساء على كل حال . والآن هلم الى المسائل الصغيرة . هل أبواك على قيد الحياة ؟

چاك : لقد فقدت أبوى كليهما .

ليدى براكنل: كليهما ؟ هذا أمر قد يدل على الاهمال . من كان والدك ؟ لا بد أنه كان على جانب من الثراء .

أو هل ولد – كما تعبر الصحف الراديكالية – وفى يده صولجان التجارة ؟ أم أنه من الطبقة الأرستقراطية ؟

چاك : أخالنى فى الحق لا أعرف . الواقع ليدى براكنل أننى قلت اننى فقدت والدى كليهما . ولعل الأقرب الى الصدق أن أقول ان والدى فقدانى . أنا بالفعل لا أعرف ابن من أكون . فأنا .... حسن .. قد عثر على .

ليدى براكنل: عثر عليك ؟

چاك : المغفور له مستر « توماس كاردو » ، وهو رجل شيخ نبيل يعمر قلبه احسان وعطف ، عثر على ومنحنى اسم « ورذنج » ؛ لأنه قد اتفق أن كانت بجيبه اذ ذاك تذكرة سفر بالدرجة الأولى الى ورذنج . وورذنج بلدة تقع فى مقاطعة سسكس . هى مصيف على البحر .

ليدى براكنل: وذلك السيد النبيل المحسن ، الذى كانت معه تذكرة السفر بالدرجة الأولى الى هذا المصيف على البحر ، أين عثر عليك ؟

چاك : (فى خطورة) فى حقيبة يد .

ليدى براكنل: فى حقيبة يد ؟

چاك : نعم ليدى براكنل ، كنت فى حقيبة يد ، حقيبة ضخمة بعض الشيء ، مصنوعة من جلد أسود ، وذات مقابض . حقيبة يد عادية .

ليدى براكنل: وفى أى مكان وقع مستر چيمز أو توماس كاردو ، على تلك الحقيبة العادية ؟

چاك : فى غرفة الأمانات بمحطة ڤكتوريا . كانت قد سلمت اليه خطأ على أنها حقيبته .

ليدى براكنل: غرفة الأمانات بمحطة ڤكتوريا ؟

چاك : أجل . خط « برايتن »

ليدى براكنل: الخط لا أهمية له مستر ورذنج . أعترف أننى أشعر بشيء من الحيرة والدهشة مما سمعته فى هذه اللحظة منك . ميلاد المرء أو على كل حال نشأته فى حقيبة يد — سواء كانت لها مقابض أو لم تكن لها مقابض — أمر على ما يبدو فيه مجاهرة باحتقار أبسط مصطلحات اللياقة فى الحياة العائلية . حتى ليذكرنا ذلك

بأسوأ ما ذهبت اليه الثورة الفرنسية من تطرف وخروج عن الحد . وما اخالك الا عارفا بما أفضت اليه تلك الثورة التعسة المنكودة . أما فيما يتعلق بالمكان المعين الذى وجدت فيه الحقيبة ، فان غرفة الأمانات بمحطة من محطات السكك الحديدية ، قد تصلح لاخفاء جريرة اجتماعية من جرائر عدم التبصر والحيطة ، ولطالما استخدمت لهذا الغرض من قبل ، الا أنها لا تكاد تعتبر صالحة كأساس مضمون لمكانة محترمة فى مجتمع راق .

چاك : هل لى أن أسألك اذن ، بماذا تنصحين لى أن أفعل ؟ لا أظننى بحاجة الى القول بأننى أفعل أى شىء فى الوجود لتأمين سعادة جويندولين .

ليدى براكنل: انى لأنصح لك فى شدة مستر وردنج أن تحاول أن تجد لك قرابة من أى نوع بأسرع وقت ممكن . وأن تبذل جهدا كبيرا لتقدم على وجه من الوجود ، أبا لك أو أما . وقبل انتهاء الموسم .

چاك : آه ، ولكنى لا أرى لى الى ذلك من سبيل . يمكننى أن أحضر الحقيبة فى أية لحظة . انها موجودة فى غرفة ملابسى بالبيت . فى الحق ، اعتقد أن فى ذلك الكفاية لارضائك ليدى براكنل .

ليدى براكنل: أنا يا سيدى ! وما شأنى بها ؟ ما أظنك تتخيل أننى ولورد براكنل يمكن أن يخطر ببالنا لحظة أن نسمح لابنتنا الوحيدة ، التى بذلت أقصى العناية فى تنشئتها ، أن تتزوج فى مخزن أمانات وتعقد زواجها على أحد الطرود . صبحت بالخير مستر ورذنج .

(ليدى براكنل تخرج فى خيلاء واستنكار)

چاك : صبحت بخير .

(الچيرنن – من الحجره الأخرى – يعزف نشيد الزفاف · چاك محتدم الهياج يذهب الى الباب) بحق السماء كف عن عزف هذا اللحن الجنائزى ، آلچى ما أشد سخفك .

(تنوقف الموسيقى · ويدخل الچيرنن

الچيرنن : ألم تسر الأمور على ما يرام أيها الصديق العزيز ؟

أتريد أن تقول ان جويندولين قد رفضتــك ؟ أعلم أن هذا من أساليبها . انها ترفض النــاس دائما . أعتقد أن هذا من أسوأ طباعها .

جاك : أوه ! ان جويندولين ثابتـــة لا تنثنى . اننــا فيما يختص بها خطيبان . أما أمها فانها فى الحق لا تحتمل بالمرة . لم أقابل فى حياتى غولة مثلها . أنا فى الحقيقة لا أعرف على أية صـــورة تكون الغولة ، لكننى متأكد كل التأكد من أن ليدى براكنـــل هى من هـــذا القبيل . على كل حال ، هى من وحـــوش الأســـاطير دون أن تكون أسطورة ، وهذا ليس من العدل فى شيء . انى أرجـــو المعـــذرة آلچى . ما كان ينبغى لى أن أتحدث هكذا عن خالتك فى مواجهتك .

الچيرنن : يا فتاى العزيز . انه ليطيب لى الاستمـــاع الى السباب يوجه الى أقاربى . انه الشيء الوحيـــد الذى يربطنى بهم . الأقرباء ، ان هم الا شرذمة مملة مزعجة من الناس . لا يدرون على الاطلاق كيف يحيون ، ولا يحسنون بغريزتهم أن يعرفوا متى يموتون .

چاك : أوه ، ذلك كلام فارغ

الچيرنن : انه ليس بالكلام الفارغ .

چاك : لست بمجادلك فى هذا الموضوع . انك على الدوام ، تريد المجادلة فى كل الأشياء .

الچيرنن : وهذا بعينه ما خلقت من أجله الأشياء .

چاك : وأيم الحق ، لو آمنت بذلك لرميت نفسى بالرصاص (فترة صمت) أوتظن أن هنالك احتمالا لأن تصبح جويندولين شبيهة بأمها بعد مائة وخمسين سنة . أوتظن ذلك آلچى ؟

الچيرنن : كل النساء مصيرهن أن يشبهن أمهاتهن . تلك مأساتهن . وليس هذا مصير الرجل . وتلك مأساته .

چاك : أهذه براعة ؟

الچيرنن : انه لكلام بليغ . وهو صادق صدق أية ملاحظة يسمح بابدائها فى حياة اجتماعية متحضرة .

چاك : أكاد أموت ضيقا بتلك البلاغة البارعة . كل انسان بارع البلاغة فى هذه الأيام . لا يمكنك

أن تمشي مكانا ما دون أن تلقى أولئك البلغاء الأذكياء . لقد أصبح هذا الأمر من المضايقات الشائعة والمقاقات . أتمنى على الله أن يكون قد بقي لدينا القليل من الحمقى الأغبياء .

الجيرنن : لدينا بحمد الله .

جاك : انى لشديد الشوق الى لقائهم . وعم تراهم يتحدثون ؟

الجيرنن : الحمقى الأغبياء ؟ أوه ! يتحدثون طبعا عن البلغاء الأذكياء .

جاك : ما أحمقهم وما أغباهم !

الجيرنن : على فكرة ، هل قلت لجويندولن الحقيقة فيما يتعلق بكونك ايرنست في المدينة ، و جاك في الريف ؟

جاك : (بطريقة تنم عن الترفع)يا صديقي العزيز ، ليست الحقيقة هي بعينها الشيء الذي يقال لفتاة ظريفة حلوة مهذبة . ما أعجب ما عندك من آراء عن الطريقة المثلى للسلوك مع المرأة !

الجيرنن : طريقة السلوك الوحيدة تجاه المرأة ، هي أن

تطارحها الغرام ان كانت جميلة . أو أن تطارح الغرام غيرها ان كانت قبيحة .

چاك : أوه . كلام فارغ .

الچيرنن : وماذا عن أخيك ؟ ماذا عن ايرنست الفاسد الخليع ؟

چاك : أوه . لا ينتهى الأسبوع الا وأكون قد تخلصت منه . سأقول انه مات فى باريس نتيجة انفجار فى الأوعية الدموية بالمخ . كثيرون من الناس يموتون فجأة نتيجة لذلك . أليس كذلك ؟

الچيرنن : نعم ولكنه شيء وراثى يا فتاى العزيز . انه ذلك الشيء الذى ينفشى فى العائلات . من الأفضل أن تقول انه قد مات من نازلة برد شديدة اعترته .

چاك : أواثق أنت من أن نازلة البرد الشديدة ليست وراثية أو شيئا من هذا القبيل ؟

الچيرنن : بالطبع . انها ليست كذلك .

چاك : حسن جدا . اذن ... أخى المسكين ايرنست فقد

الحياة فى باريس من أثر نازلة برد شديده . ذلك ولا شك يخلصنى منه .

الجيرنن : ولكننى أذكر أنك قلت ... ان مس كاردو معجبة بأخيك المسكين ايرنست ؟ أو لن تتأثر تأثرا بالغا بفقده ؟

جاك : أوه شىء من ذلك . ليست سيسيلى بالفتاة العاطفية الخرقاء ، وانى لسعيد بذلك . ان لهـ قابلية كبرى لتذوق الحياة . انها تمشى المسافات الطوال ، ولا تعير دروسها أى التفات .

الجيرنن : تمنيت لو أتيح لى أن أرى سيسيلى .

جاك : سأحرص كل الحرص على ألا يحدث ذلك أبدا . انهما غاية فى الجمال ، ثم انها لم تتجاوز الثامنة

الجيرنن : أما أخبرت جويندولين بعد بأنك قيم على فتاة صغيرة غاية فى الجمال ، لم تتجاوز الثامنة عشرة؛

جاك : أوه ، لا يذيع الانسان مثل هـذه الأشياء على الناس . من المؤكد أن سيسيلى و جويندولين ستقوم بينهما صداقة عظيمة لا حد لها . أراهنك

بأى شىء تريد ، على أنهما بعد نصف ساعة فقط من لقائهما ، ستدعو كل منهما الأخرى يا أختى .

الچيرنن : النساء لا يفعلن هذا الا بعد أن يكن قد تنادين أولا بأشياء أخرى كثيرة . والآن يا فتاى العزيز . اذا كنا نريد الحصول على مائدة ممتازة فى ويلز ، فمن واجبنا أن نبادر بارتداء ملابس السهرة . هل تعلم أن الساعة الآن السابعة تقريبا ؟

چاك : (فى احتداد) أوه ، انها دائما السابعة تقريبا .

الچيرنن : حسن . انى جائع .

چاك : ما عهدتك يوما الا كذلك .

الچيرنن : وماذا سنفعل بعد العشاء ؟ أنذهب الى أحد المسارح ؟

چاك : أوه ، كلا ، انى أكره الانصات .

الچيرنن : أنذهب الى النادى اذن ؟

چاك : أوه ، كلا ، انى أكره التكلم .

الچيرنن : حسن ، بوسعنا أن نتمشى حتى « الامبير » فى الساعة العاشرة .

جاك : أود ، كلا ، فما أطيق اجالة البصر فى الأشياء ، فذلك حمق أى حمق .

الجيرنن : فماذا نحن صانعان اذن ؟

جاك : لا شىء .

الجيرنن : انه لمن أشق الأشغال الشاقة ، ألا يصنع المرء شيئا . بيد أننى أرتضى الأشغال الشاقة ، اذا كان لا يوجد شىء معين أعمله .

(يدخل لين)

لين : مس فيرفاكس .

(تدخل جويندولين . يخرج لين)

الجيرنن : جويندولين ، وأيم الحق !

جويندولين : آلجى . تكرم وأولنا ظهرك . لدى شىء خاص جدا أريد أن أقوله لمستر ورذنج .

الجيرنن : فى الحقيقة جويندولين ، ما أظننى أستطيع أن أسمح بهذا مطلقا .

جويندولين : آلجى . انك دائما تنظر الى الحياة نظرة غير أخلاقية . انك لم تبلغ بعد من الكبر ما يجعلك تنظر تلك النظرة .

(الجيرنن ينسحب ذاهبا الى المدفاة)

جاك : يا حبيبتى !

جويندولين : ايرنست . قد لا يتم زواجنا . ان ما آنسته على وجـه ماما من تعبـير ، يجعلنى أخشى ذلك . قليلون من الوالدين فى هذه الأيام ، من يحفلون بما يقوله لهم أبنـاؤهم . ان رعاية الصغـار أصبحت تقليدا باليا على وشك الزوال . ان كل ما كان لى من تأثير على ماما ، فقدته تماما بمجرد بلوغى الثالثة . ولكن ان جاز أن تمنعنا ماما من أن نصبح زوجا وزوجة ، وان جاز أن أتزوج أنا من شخص آخر ، وغالبا ما سيحدث ذلك ، فاننى — مهما أمكن ماما أن تفعل — لن تتغير عبادتى الخالدة لك ، وما أكنه من التفانى فى حبك .

جاك : أيتها العزيزة جويندولين .

جويندولين : ان قصة ميلادك الرومانتيكية الرائعـة ، والتى روتها لى ماما مشفوعة بتعليقاتها التى لا تسر ، قد استجاشت وجدانى ، وهزت أعماق كيانى . ان لاسمك الصغير سحرا لا يقاوم . ان البساطة التى تتسم بها طبيعتك ، لتجعـل لى منك لغزا

شيق الغموض . عندى عنوانك بالمدينة « ذى ألبانى » فما عنوانك بالريف ؟

چاك : ذى مانور هاوس ، وولتن ، هيرتفورد شاير .

(الجيرنن الذى كان طوال ذلك منصتا بامعان . يبتسم لنفسه ويكتب العنوان على أسورة قميصه . ثم يتناول دليل السكك الحديدية)

جويندولين : هناك خدمة بريد منتظمة على ما أعتقد ، فلقد يستلزم الأمر القيام بمحاولة يائسة حاسمة سيحتاج ذلك بالطبع الى روية وتدبير . سأتصل بك يوميا .

چاك : يا حبيبتى الوحيدة !

جويندولين : الى متى ستظل فى المدينة ؟

چاك : الى يوم الاثنين .

جويندولين : هذا حسن . آلچى ، يمكنك أن تستدير الينا الآن .

الجيرنن : شكرا كثيرا . لقد استدرت بالفعل .

جويندولين : يمكنك كذلك أن تدق الجرس .

چاك : ستسمحين لى أن أصحبك الى عربتك يا حبيبتى؟

جويندولين : بكل تأكيد .

چاك : (الى لين الذى يدخل الآن) سأصحب أنا مس فيرفاكس الى الخارج .

لين : أمرك يا سيدى .

(چاك وجويندولين يخرجان)
(لين يقدم الى الچيرنن رسائل محمولة على صينية . يوحى الينا أنها قوائم حساب مستحقة الدفع « فواتير » . اذ نرى الچيرنن يمزقها بعد ان ينظر الى الظروف)

الچيرنن : ناولنى كأسا من الشرى يالين .

لين : طوعا يا سيدى .

الچيرنن : غدا يا لين ، سأخرج للتبنبر .

لين : نعم يا سيدى .

الچيرنن : من المحتمل ألا أعود قبل يوم الاثنين . تستطيع أن تعد ملابسى : سترة السهرة ؛ وجميع البدل الخاصة بالتبنبر .

لين : أمرك يا سيدى (مقدما اليه الشيرى)

الجيرنن : أتعشم أن يكون الغد يوما لطيفا ، لين .

لين : انه لا يكون كذلك أبدا يا سيدى .

الجيرنن : لين ، كم أنت متشائم .

لين : اننى أبذل مافى وسعى ابتغاء مرضاتك يا سيدى.

(يدخل جاك ويخرج لين)

جاك : تلك فتاة تفيض حساسية وزكانة . انها وحدها أول فتاة فى حياتى تستحوذ على اهتمامى .

(الجيرنن يستغرق فى الضحك)

أى شىء بالله عليك يستخفك الى هذا الضحك ؟

الجيرنن : أوه . انى أشعر بشىء من القلق على المسكين بنبورى . هذا كل مافى الأمر .

جاك : ان لم تكن حذرا ، فسيجىء يوم يجر فيه عليك صديقك بنبرى متاعب لا قبل لك بها .

الجيرنن : انى أحب المتاعب . فهى الأشياء الوحيدة غير الخطرة .

چاك : أوه . هذا كلام فارغ آلچى . انك لا تقول الا الكلام الفارغ .

الچيرنن : مثل سائر الناس

(چاك ينظر اليه محنقا ويخرج من الغرفة . ألچيرنن يشعل سيجارة ثم يقرأ ما كتب على أسورة قميصه ويبسم)

(ستار)

الفصل الثاني

المنظر

(حديقة « المانورهاوس » . درج من الحجر الرمادى يؤدى الى البيت ... الحديقة على طراز قديم وحافلة بالورود . الوقت فى ابان شهر يوليو . كراسى من الخوص ومنضدة تغطيها الكتب ، موضوعة تحت دوحـــة من شجر السدر الجبلى)

مس بريزم : (منادية) سيسيلى ، سيسيلى ! ان عملا من الأعمال النافعة مثـــل رى الزهور هو أجدر بواجبـات « ماولتن » وأدخل فى اختصـاصه . ولا سيما حين تكون فى انتظارك متع فكرية . هو ذا كتابك فى الأجرومية الألمانية على المنضدة . أرجو أن تفتحيه فى الصفحة الخامســـة عشرة ، سنعيد درس الأمس .

سيسيلى : (تتقدم فى تباطؤ شديد) ولكنى لا أحب الألمانية . انها لغة غير مناسبة على الاطلاق . أعلم تمـام العلم أنى أبدو خالية من الحسن عقب كل درس فى الألمانية .

مس پرزم : أيتها الطفلة . انك تعلمين مبلغ اهتمام وصيك بأن تزدادى تقدما فى كل الوجود . لقد أظهر اهتمامه الخاص بدراستك للألمانية ساعة أن كان راحلا الى المدينة بالأمس . حقا انه دائما مايبدى ذلك الاهتمام الخاص فى كل مرة يكون راحلا الى المدينة .

سيسيلى : العم العزيز جاك مغرق فى الجد . ان اغراقه فى الجد ليدعونى فى بعض الأحيان الى الاعتقاد بأنه لا يمكن أن يكون فى تمام الصحة والعافية.

مس پرزم :(تنتصب فى جلستها) بل ان وصيك ليتمتع بأحسن صحة . وان التزامه الوقار لمن أخص ما يحمد لمن كان فى مثل شبابه . لم أر قط أحدا أسمى منه احساسا بالواجب والمسئولية .

سيسيلى : يخيل لى أن هذا هو علة ما يبدو عليه من ملالة وضيق كلما اجتمعنا نحن الثلاثة .

مس برزم : سيسيلى انك لتدهشيننى . ان فى حياة مستر ورذنج متاعب جمة ، فلا مكان فى محادثاته

للهذر العقيم والعبث الباطل ... يجب أن تذكرى
قلقه الدائم على ذلك الشاب التعس الذى هو
أخوه .

سيسيلى : تمنيت لو سمح العم جاك لذلك الشاب التعس الذى هو أخوه أن يتردد علينا بين حين وآخر ، فلربما يكون لنا عليه تأثير حسن مس پرزم . أنا واثقة من أنه سيكون لك أنت ذلك التأثير . أنت تعرفين الألمانية وعلم طبقات الأرض ، ولمثل هذه الأشياء تأثير عميق فى الرجل .

(سيسيلى تبدأ الكتابة فى دفتر يومياتها)

مس پرزم : (هازة رأسها) لا أظننى أستطيع أن يكون لى أثر حتى فى شخص يسلم أخوه نفسه بأن لا علاج لما هو عليه من وهن وتردد . والواقع أننى لست واثقة من أن بى رغبة فى اصلاحه . انى لا أحبذ هوس أبناء هذا العصر فى نزوعهم لتحويل الطالحين الى صالحين فى طرفة عين بمجرد الاخطار . على المرء أن يحصد ثمار ما بذر . سيسيلى ، ينبغى أن تنحى دفتر يومياتك جانبا .

فى الحق أنى لا أرى موجبا لاستعمالك دفتر يوميات على الاطلاق .

سيسيلى : انى أستعمل دفتر اليوميات لأسجل روائع أسرار حياتى . اذا لم أسجلها بكتابتها ، فمن المحتمل جدا أن أنسى كل شيء عنها .

مس برزم : الذاكرة يا عزيزتى سيسيلى هى دفتر اليوميات الذى نحمله معنا على الدوام .

سيسيلى : نعم ولكن الذاكرة انما تسجل فى العادة الأشياء التى لم تحدث أبدا ولم يكن فى الامكان حدوثها . أعتقد أن الذاكرة هى المسئولة عن اختلاق جل ما تحويه القصص المثلثة الأجزاء تلك التى ترسلها لنا « مودى »

مس برزم : لا تتكلمى باستخفاف عن القصص ذات الأجزاء الثلاثة يا سيسيلى فلقد كتبت واحدة منها فى مستهل حياتى .

سيسيلى : حقيقة فعلت ذلك مس برزم ، انها براعة منك رائعة . أرجو ألا تكونى قد أنهيتها نهاية سعيدة . انى لا أحب القصص ذوات الخواتيم

السعيدة . انها تغمنى وينقبض لها صدرى .
نهاية الخير الانتصار ، ونهاية الشر الاندحار .
ذلك فى القصة أساس الابتكار .

سيسيلى : أعتقد ذلك . على أنه أمر ليس فيه أدنى انصاف للواقع . أترى قد نشرت قصتك ؟

مس برزم : لا ويا للأسف ! فأصلها المخطوط كان نصيبه الاهمال لسوء الحظ (سيسيلى تدعش) أقصد باهماله أنه فقد أو وضع فى غير مكانه . والآن يا بنيتى الى عملك . ان هذه التأملات لا طائل تحتها .

سيسيلى : (مبتسمة) لكنى أرى دكتور « تشوزيبل » قادما عبر الحديقة .

مس برزم : (ناهضة ومصدمة) دكتور « تشوزيبل » ! انه لسرور عظيم لنا .

(يدخل « كانون تشوزيبل »)

تشوزيبل : كيف أصبحنا يا ترى ؟ مس برزم ، أنا واثق من أنك على ما يرام .

سيسيلى : كانت مس برزم تشكو الآن صداعا خفيفا .

أظن أنه مما ينفعها كثيرا أن تتمشى معك قليلا فى الحديقة دكتور تشوزيبل .

مس برزم : سيسيلى أنا لم أذكر أى شىء عن الصداع .

سيسيل : لا يا عزيزتى مس برزم ، أعرف ذلك . ولكنى شعرت بالسليقة أن بك صداعا لا محالة . والواقع أننى كنت منشغلة بذلك عن درسى فى الألمانية عندما دخل علينا السيد القس .

تشوزيبل : أتعشم سيسيلى ألا تكونى غافلة عما تقولين الى هذا الحد .

سيسلى : أوه أخشى أن أكون كذلك .

تشوزيبل : هذا غريب . لو ان الحظ قد أسعفنى بأن أكون تلميذا لمس برزم ، لتعلقت بشفتيها (مس بريزم تحملق محمرة) انى تكلمت على سبيل المجاز . استمرت مجازى من النحل . احم ! مستر ورذنج — فيما أظن — لم يعد بعد من المدينة ؟

مس برزم : نحن لا نتوقع عودته قبل ظهر الاثنين القادم .

تشوزيبل : آه نعم ؛ انه عادة يحب قضاء أيام الآحاد فى

لندن . انه ليس من أولئك الذين ينحصر همهم في الاستمتاع مثل أخيه ، ذلك الشاب التعس الذي ينطبق عليه الوصف من كل الوجوه .

- ولكن أرى من واجبي ألا أزعج « اجيريا » وتلميذتها أكثر من ذلك .

مس برزم : « اجيريا » ؟ ان اسمي هو « لايتيتيا » يا دكتور.

تشوزيبل : (منحنيا) مجرد كنية قديمة مستعارة من الكتاب الوثنيين . سأراكما في الكنيسة معا ولا شك في صلاة المساء .

مس بريزم : أحسبني يا عزيزي الدكتور سأتمشى معك قليلا. لقد تبين لي أن بي صداعا على كل حال . وقد يكون في المشي شفاء منه .

تشوزيبل : بكل سرور مس برزم بكل سرور . بوسعنا أن نتمشى حتى المدارس ثم نعود .

مس برزم : سيكون في هذا غاية البهجة . سيسيلي ستقرأين درسك في الاقتصاد السياسي أثناء غيابي . يمكنك أن تضربي صفحا عن الفصل الخاص بتدهور سعر الروبية . فان به شيئا يثير

المشاعر . حتى هذه الألغاز المدنية من العملات
لها جانبها الميلودرامى .

(تنزل الى الحديقة مع دكتور تشوزيبل)

سيسيلى : (تتناول كتبا وتعود فتلقى بها على المنضدة) تبا للاقتصاد السياسى ، تبا للجغرافيا ، تبا وتبا للغة الألمانية .

(يدخل ، ميريمان ، ومعه بطاقة على الصينية)

ميريمان : مستر ايرنست ورذنج قــــد وصل توا قادما فى عربة من المحطة . ولقد أحضر معه أمتعته .

سيسيلى : (تتناول البطاقة وتقرأها) مستر ايرنست ورذنج فور ، ذى ألبانى ، دبليو . انه شقيق العم جاك ! هل أخبرته بأن مستر ورذنج فى المدينة ؟

ميريمان : نعم يا آنسة . ولقد بدا عليه الكثير من خيبــة الأمل . لقــد أعلمته أنك ومس پرزم موجودتان بالحديقة ، فقال انه كان مشوقا الى التحــدث معك برهة على حدة .

سيسيلى : ادع مستر ايرنست ورذنج للحضــور هنــا . ومن المستحسن فيما أرى أن تبلــغ مدبر البيت ليعد له غرفة .

ميريمان : نعم يا آنسة (يخرج ميريمان)

سيسيل : لم يتفق لي أن قابلت شخصا شريرا بمعنى الكلمة . أحس بشيء من الفزع . انى لأخشى أن يكون مظهره كمظهر أى شخص آخر .

(يدخل الجيرنن منبسط النفس طروبا)

انه كذلك !

الجيرنن : (رافعا قبعته) لا بد وأنك ابنة عمى الصغيرة .

سيسيل : لا شك أنك وقعت فى خطأ . فما أنا بصغيرة . أعتقد أننى فى الواقع أطول من المعتاد بالنسبة الى سنى .

(ألجيرنن فى غمرة من الدهشة)

ولكننى ابنة عمك سيسيلى ، وأنت كما تدلنى بطاقتك ، ابن عمى ايرنست ، ابن عمى الشرير ايرنست .

الجيرنن : أوه ! فى الحق أنى لست شريرا على الاطلاق يا ابنة عمى سيسيلى . يجب ألا تعتقدى أننى شرير .

سيسيلى : اذا لم تكن شريرا ، فأنت اذن وبكل تأكيد ، قد كنت دائبا على غشنا جميعا بطريقة لا وجه للعذر فيها . أتعشم أنك لم تكن تحيا حياة مزدوجة ، متظاهرا بأنك شرير على حين كنت رجــل خير طوال الوقت . ان ذلك يكون رياء منك ونفاقا .

الجيرنن : (ينظر اليها فى دهشة) أود ! كنت فى ذلك بالطبع مستهترا عديم التبصر .

سيسيلى : يسعدنى أن أسمع ذلك منك .

الجيرنن : الآن وقد فاتحتنى فى الأمر ، أقول اننى حقا كنت بالغ الســوء فى مسلكى الصغير الخاص .

سيسيلى : لا أعتقد أن لك أن تفاخر بذلك . بيد أننى واثقة من أن هذا التظاهر كان ممتعا للغاية .

الجيرنن : ولكن الأمتع منه وجودى هنا معك .

سيسيلى : انى لست أدرى على الاطلاق كيف تكون هنــا والعم چاك لن يعود قبل عصر يوم الاثنين القادم.

الجيرنن : انها لخيبة أمل عظيمة . اننى مضطر الى الرحيل فى أول قطار صباح الاثنين . انى مرتبط بموعد عمل ، وددت لو أخلفته .

سيسيلى : أولا تستطيع أن تخلفه الا وأنت فى لندن ؟

الچيرنن : لا ... فالموعد فى لندن .

سيسيلى : حسن . انى أعرف بالطبع مدى أهميـــة عدم المحافظة على موعد خاص بالعمل ، اذا ما أراد الانسان الاحتفاظ بمعنى من معانى جمـــال الحياة . ولكنى مازلت أعتقد انه من الأجدر بك أن تنتظر حتى يصل العم چاك . أعلم أنه يريد التحدث اليك فى أمر هجرتك .

الچيرنن : فى أمر ماذا ؟

سيسيلى : فى أمر هجرتك . لقد ذهب الى المدينة ليشترى لوازمك .

الچيرنن : ماكنت لأسمح لچاك أن يشترى لى لوازمى بكل تأكيد ، فليس له أى ذوق فى انتقاء أربطة العنق.

سيسيلى : لا أظن أنك ستكون بحاجة الى أربطة العنق ، فالعم چاك سيبعث بك الى أوستراليا .

الچيرنن : أوستراليا ! الموت أحب الى .

سيسيلى : حسن . لقد قال أثناء تناولنا العشاء ليلة الأربعاء،

ان عليك أن تختار واحدة من ثلاث . فاما هذه الدنيا ، واما الآخرة ، واما استراليا .

الجيرنن : أوه ، حسن . ان البيانات التى جاءتنى عن الآخرة وأوستراليا غير مشجعة . انى قانع بهذه الدنيا يا ابنة عمى سيسيلى .

سيسيلى : نعم ولكن هل أنت أهل لها ؟

الجيرنن : أخشى أننى لست كذلك . ولهذا أريد أن تتولى اصلاحى . يمكنك أن تجعلى ذلك رسالتك فى الحياة ، ان لم يكن لديك مانع يا ابنة عمى سيسيلى .

سيسيلى : أخشى ألا يكون لدى وقت لذلك عصر اليوم .

الجيرنن : حسن ... أعندك مانع فى أن أقوم أنا باصلاح نفسى عصر هذا اليوم ؟

سيسيلى : انك فى هذا أشبه بدون كيشوت . على أننى أرى من واجبك أن تحاول .

الجيرنن : سأفعل . وانى لأحس أننى قد تحسنت فعلا .

سيسيلى : بل يبدو عليك أنك أسوأ قليلا عن ذى قبل .

الجيرنن : ذلك لأننى جائع .

سيسيلى : ما أشد غفلتى . كان على أن أذكر أن من يكون مقبلا على حياة جديدة كل الجدة ، يكون فى أمس الحاجة الى وجبات صحية ومنتظمة . ألا تدخل ؟

الجيرنن : شكرا لك . هل لى أولا أن آخذ زهرة لعروة سترتى ؟ ان شهية الطعام عندى رهن بوضع زهرة فى عروة سترتى

سيسيلى : ماريشال نيل ؟ (تلتقط مقصا)

الجيرنن : كلا . بودى لو أسعفنى الحظ بوردة مشرقة الحمرة .

سيسيلى : لماذا ؟ (تقطع زهرة)

الجيرنن : لأنك شبيهتها يا سيسيلى يا ابنة العم .

سيسيلى : ما أظنك على صواب فى أن تكلمنى على هذا النحو . ان مس پرزم لا تكلمنى قط مثل هذا الكلام .

الجيرنن : اذن فالآنسة پرزم سيدة عجوز قصيرة النظر .

(تضع سيسيلى الزهرة فى عروة سترته)

انك لأجمل فتاة رأيتها فى حياتى .

سيسيلى : تقول مس پرزم ان المحاسن شرك .

الچيرنن : وانها للشرك الذى يتمنى كل ذى حس أن يقع فيه .

سيسيلى : أوه . ليس المهم عندى أن يكون الرجـل الذى يقع فى شركى عاقلا . فانى لا أعرف أى حديث أتحدث اليه

(يدلفـان الى البيت . مس برزم ودكتور تشوزيبل يعودان)

مس برزم : انك لفى وحـدة شـديدة دكتور تشوزيبل ؟ كان يجب عليك أن تتزوج . لو أنك من كارهى المجتمع لكان ذلك مفهوما ، أما أن تكره النساء فغير مفهوم البتة .

تشوزيبل : (يجفل فى استنكار العالم الفقيه) صدقينى ، اننى لا أستحق مثل هذا الأسلوب التجديدى . فلقد كانت الكنيسة القديمة ضد الزواج علما وعملا.

مس برزم : (بلهجة أصحاب الحكم) ولهذا السبب المبين لم تعمر الكنيسة القديمة حتى يومنـا الحاضر . وفيما يظهر يا عزيزى الدكتـور ؛ أنه يغيب عنك أن

الرجل باصراره على حياة العزوبة ، انما يجعل من نفسه غواية عامة . يجب أن يكون الرجال أكثر حيطة ، فان فى عزوبتهم ما يجذب الجنس الأضعف الى أن يضل سواء السبيل .

تشوزيبل : ولكن ، أولا تكون للرجل المتزوج مثل هذه الجاذبية ؟

مس پرزم : ما من رجل متزوج تكون فيه جاذبية الا لزوجته .

تشوزيبل : وفى أكثر الأحيان كما قيل لى ، لا تكون له جاذبية حتى ولا لزوجته .

مس پرزم : هذا يتوقف على ما يكون عند المرأة من التجاوب الذهنى . ان بلوغ المرأة اكتمالها يمكن الاعتماد عليه دائما . المرأة الناضجة يمكن الوثوق بها . أما شابات النساء فهن كالثمرة الفجة .

(دكتور تشوزيبل يؤخذ)

انى أتكلم بأسلوب علم فلاحة البساتين . ومجازى قد استعرته من الثمار . لكن أين سيسيلى ؟

تشوزيبل : لعلها قد تبعتنا على طريق المدارس .

(يدخل چاك من مؤخرة الحديقة متباطئا ، وهو غارق فى ثياب الحداد السود ، وحول قبعته شريط أسود ، وقفازه كذلك أسود)

مس برزم : مستر وردنج ؟

تشوزيبل : مستر وردنج !

مس برزم : انها فى الواقع لمفاجأة . ما كنا لنتوقع عودتك قبل عصر يوم الاثنين .

چاك : (يصافح مس برزم وهو يهز يدها على طريقة أبطال المآسى المسرحية)

لقد عدت بأسرع مما كنت أتوقع . دكتور تشوزيبل ، أرجو أن تكون بخير .

تشوزيبل : مستر وردنج العزيز . آمل ألا تكون حلة الحزن هذه نذير نكبة نكباء .

چاك : أخى ..

مس برزم : أمزيد من الديون الشائنة وفرط التبذير ؟

تشوزيبل : أما يزال سادرا فى حياة اللهو والملذات ؟

چاك : (هازا رأسه) لقد مات ...

تشوزيبل : أخوك ايرنست مات ؟

چاك : مات تماما .

مس پرزم : ان فى ذلك لعبرة آمل أن ينتفع بها .

تشوزيبل : مستر « ورذنج » ، انى لأقدم لك أصدق التعازى . ليكن عزاءك على الأقل علمك أنك كنت أكرم الاخوة واكثرهم تسامحا .

چاك : ايرنست المسكين . كانت له عيوب كثيرة ، ولكن فقدانه صدمة ، صدمة أليمة .

تشوزيبل : حقا أليمة جدا . هل كنت الى جانبه فى لحظاته الأخيرة ؟

چاك : لا . لقد مات فى الخارج . فى باريس على وجه التحديد . تلقيت برقية بذلك من مدير فندق « جراند أوتيل » .

تشوزيبل : أجاء بها سبب الوفاة ؟

چاك : نازلة برد حادة على ما يبدو .

مس پرزم : كما تزرع تحصد .

تشوزيبل : (رافعا يده) الرحمة يا عزيزتى مس پرزم ، الرحمة ! ليس فينا من بلغ الكمال ، فأنا نفسى

عندى استعداد بصفة خاصة للتأثر من التيارات.
وهل سيكون دفنه هنا ؟

چاك : لا . يظهر أنه أوصى بأن يدفن فى باريس .

تشوزيبل : فى باريس (يهز رأسه) اخشى ألا يكون فى ذلك ما يدل على استقامة نفسه حتى فى النهاية . ما أحسبك الا راغبا ولا شك ، فى أن أشير اشارة عابرة ، الى هذه المحنة العائلية المفجعة يوم الأحد القـادم . (يضغط چاك يده فى شبه تشنج) ان موعظتى عن نزول المن فى الصحـراء يمكن دائما جعلها صالحة لأية مناسبة : سعيدة كانت أو فاجعة كالمناسبة الحاضرة (الجميع ينهدون) لقد ألقيت هذه الموعظة فى احتفالات الحصاد ، والتعميد ، والتثبيت ، وفى أيام الآلام والأعياد . آخر مرة ألقيتها ، كانت فى الكاتدرائية للحض على الاحسان لصالح جماعة مكافحة البطر بين الطبقات الراقية . لقـد أخذت الأسقف الذى كان حاضرا ، ببعض ما استنبطته من الأقيسـة والتشابيه .

چاك : آه ، لقـد ذكرتنى ، انك ذكرت التعميـد على ما أظن دكتور تشوزيبل ؟ أعتقـد أنك تحسن التعميد (دكتور تشوزيبل يحملق منذعلا) اننى أعنى بالطبع ، أنك تقوم بالتعميد بصفة مستمرة. أليس كذلك ؟

مس پرزم : ان تعميد المواليد ، مع الأسف ، من الأعمـال التى لا ينقطـع القس عن ممارستها فى دائرته الكنسية . لطالما تكلمت فى هذا الموضـوع مع الطبقات الفقيرة . ولكن الظاهر أنهم لا يعرفون معنى الاقتصاد فى هذا الأمر .

تشوزيبل : لكن هل هناك مولود معين أنت معنى به مستر ورذنج ؟ كان أخوك — على ما أعتقد — غير متزوج . أليس كذلك ؟

چاك : أوه ، نعم .

مس پرزم : (بمرارة) ان الناس الذين وهبوا حياتهم للمسرات، هم عادة غير متزوجين .

چاك : ولكن الأمر لا يتعلق بطفل من الأطفال أيهـا

الدكتور العزيز . أنا شديد الولع بالأطفـال ـ ولكن ، الواقـع أننى أنا نفسى الذى أريد أن أعمد عصر هذا اليوم ، ان لم يكن لديك عمـل خير من هذا .

تشوزيبل : ولكن من المؤكد مستر وردنج أنك قـد سبق لك أن عمدت ؟

چاك : لست أذكر عن ذلك شيئا .

تشوزيبل : ولكن هل لديك فى الموضـــوع شكوك ذات شـأن ؟

چاك : ذلك فى نيتى بالتأكيد . أنا بالطبع لا أعرف ان كان ذلك يضايقك بحال من الأحوال ، أو أنك تعتبرنى قد جاوزت السن قليلا .

تشوزيبل : كلا ، على الاطلاق . ان الرش بالماء أو فى الواقع الغطاس للبالغين الراشدين ، لمن المراسم الشرعية التى تباشرها الكنيسة .

چاك : الغطاس ؟

تشوزيبل : لا محل لمخاوفك . الرش يكفى . أو هو فى الحق ما يجدر عمله على ما أعتقد . فان الجو هنا غاية

فى التقلب . فى أية ساعة تريد اجراء هذا الرسم الدينى ؟

چاك : أود ، يمكننى أن أدلف اليك فى نحو الساعة الخامسة ان كان هذا يناسبك .

تشوزيبل : كل المناسبة ... الواقع أن لدى من هذا النوع احتفالين فى الموعد نفسه . تعميد توأمين ولدا حديثا بأحد الأكواخ فى أطراف عقارك . يا لوالدهما المسكين « چينكز » . انه حمال من أكدح الكادحين .

چاك : أوه ! ما أظننى واجدا سرورا بالغا فى اجراء مراسم تعميدى مع أطفال آخرين . سيكون هذا طفولة منى . هل يناسبك مجيئى فى الساعة الخامسة والنصف ؟

تشوزيبل : بديع ، بديع جدا (يخرج ساعته) والآن مستر ورذنج العزيز ، لا أريد أن أمعن أكثر من هذا فى موضوع مصابكم الأليم . وكل الذى أرجوه منك ، هو ألا تستسلم للأسى حتى ينوء به كاهلك . فان ما يبدو لنا نقمة ، قد يكون نعمة فى أكثر الأحيان .

مس پرزم : بل انها فى رأيى نعمة من النعم المبينة الكبرى .

(تدخل سيسيلى من البيت)

سيسيلى : العم چاك ! أوه . يسعدنى أنك قد عدت . ولكن يا للثياب المنكرة التى تلبسها ! أرجو أن تذهب فتغيرها على الفور .

مس پرزم : سيسيلى .

تشوزيبل : يا بنيتى . يا بنيتى .

(سيسيلى تذهب الى چاك فيطبع قبلة على جبينها ، محتفظا بمظهره الحزين)

سيسيلى : ماذا حدث أيها العم چاك ؟ أرجو أن تبدو سعيدا . انك تبدو كما لو كنت تعانى من ألم فى أسنانك . ثم انى أدخر لك مفاجأة . من ذا تظنه بداخل حجرة الطعام ؟ انه أخوك !

چاك : من ؟

سيسيلى : أخوك ايرنست . لقد وصل منذ حوالى نصف ساعة مضت .

چاك : أى عبث ؟ ليس لى أخ .

سيسيلى : أوه . لا تقل ذلك . مهما يكن من سوء تصرفه معك فى الماضى ، فانه ما برح أخاك . لا يمكن أن تكون عديم القلب الى حد انكارك اياه وتبرئك منه . سأطلب اليه أن يخرج اليك . لسوف تصافحه . أليس كذلك أيها العم چاك ؟

(تجرى عائدة الى داخل البيت)

تشوزيبل : تلك لعمرى بشائر سارة .

مس پرزم : بعد اذعاننا جميعا لفقدانه ، لا شك أن عودته المفاجئة تبدو لى على وجه الخصوص أمرا مزعجا .

چاك : أخى فى غرفة الطعام ؟ لا أدرى ماذا يعنى كل هذا ! أعتقد أنه أمر غير معقول بالمرة .

(يدخل الجيرنن وسيسيلى يدا فى يد ، ويقبلان متباطئين على چاك)

يا أرحم الراحمين ! (يدفع الجيرنن الى الخارج)

الجيرنن : أخى چون . لقد أسرعت اليك من المدينة لأخبرك أننى آسف أشد الأسف على جميع المتاعب التى جررتها عليك ، وأننى قد صحت

نيتى على أن أحيا حياة أفضل فى المستقبل .

(چاك يحملق فيه ولايمد اليه يدا)

سيسيلى : أيها العم چاك . ما أظنك رافضا يد أخيك ؟

چاك : لن يحملنى شيء على وضع يدى فى يده . انى أعتبر مجيئه الى هنا عملا شائنا . انه يعلم جيدا سبب ذلك .

سيسيلى : أيها العم چاك ، أرجو أن تكون أرق حاشية من ذلك . ان فى كل انسان بعض الخير . منذ قليل كان ايرنست يقص على قصة صديقه المريض المسكين مستر بنبرى الذى يعوده كثيرا . وما من شك فى عظم الخير عند من يحنو على مريض ، ويحرم نفسه من مسرات لندن وملاهيها ، ليجلس عند فراش ذلك العانى المعذب .

چاك : أوه ! كان يكلمك عن بنبرى ، أليس كذلك ؟

سيسيلى : نعم . لقد أخبرنى بكل ما يتعلق بالمستر بنبرى المسكين وحالته الصحية البالغة السوء .

چاك : بنبرى ! حسن . أنا لا أريد أن يتحدث اليك

لا عن بنبرى ولا عن أى شىء آخر . ان فى هذا ما يكفى لاثارة الانسان واخراجه عن صوابه .

الجيرنن : انى بالطبع أسلم بأن كل ما كان من خطأ فهو واقع على عاتقى . ولكن مع هذا أرانى مضطرا الى القول بأننى أعتبر أن الفتور الذى يلقانى به أخى چون مؤلم أشد الألم . اننى كنت أتوقع ترحيبا أكثر حرارة ، لا سيما وأنها المرة الأولى التى آتى فيها هنا .

سيسيلى : أيها العم چاك . ان لم تصافح ايرنست ، فلن أغفر لك أبدا .

چاك : لن تغفرى لى ؟

سيسيلى : أبدا ! أبدا ! أبدا !

چاك : حسن . لتكن آخر مرة أفعل فيها هذا .

(يصافح الجيرنن ويحملق فى غضب)

تشوزيبل : انه لما يبعث فى النفس الرضا والسرور ، أن يشهد الانسان مثل هذا التصافى والوفاق التام . أليس كذلك ؟ أعتقد أن من الأفضل أن نترك الأخوين معا .

مس پرزم : سيسيلى . ستأتين معنا .

سيسيلى : بالتأكيد مس پرزم . لقد قمت بنصيبى المتواضع فى السعى لاتمام هذا الصلح .

تشوزيبل : لقد قمت اليوم بعمل جليل يا بنيتى العزيزة .

مس پرزم : يجب ألا نكون متعجلين فى اصدار أحكامنا .

سيسيلى : أحس السعادة تغمرنى .

(يخرجون جميعا ماعدا چاك والجيرنن)

چاك : أيها الوغد الصغير آلجى . يجب أن تخرج من هذا المكان بأسرع ما يمكن . انى لا أسمح بأى تبنبر هنا .

(يدخل ميريمان)

ميريمان : لقد وضعت أمتعة مستر أيرنست فى الغرفة المجاورة لغرفتك يا سيدى . أعتقد أن من الصواب ما فعلت .

چاك : ماذا ؟

ميريمان : أمتعة مستر ايرنست يا سيدى . لقد أخليت الحقائب ووضعت كل شىء فى مكانه بالغرفة المجاورة لغرفتك .

جاك : أمتعته ؟

ميريمان : نعم يا سيدى . ثلاث من حقائب السفر الضخمة، وصندوق أدوات الحلاقة والزينة ، وعلبتـــان للقبعات ، وسلة ضخمة للزاد .

الجيرنن : أخشى ألا أستطيع البقاء معكم أكثر من أسبوع هذه المرة .

جاك : ميريمان ، مر باستحضار العـربة على الفور ، فمستر ايرنست قـد وصله استدعاء مفـاجىء الى المدينة .

ميريمان : وهو كذلك يا سيدى (يعود فيدخل البيت)

الجيرنن : أى كذوب مروع أنت جاك . لم يحدث أبدا أن دعيت للعودة الى المدينة .

جاك : بل انك دعيت .

الجيرنن : لم أسمع أيما دعوة من أحد .

جاك : واجبك كرجل شريف يدعوك للعودة .

الجيرنن : واجبى كرجل شريف لم يكن له يوما أدنى دخل فى مسراتى .

جاك : أستطيع أن أفهم ذلك جيدا .

الجيرنن : حسن . ان سيسيلى فتاة محبة .

چاك : ليس لك أن تتحدث عن مس كاردو بمثل ذلك . أنا لا أحب هذا .

الجيرنن : حسن ... وأنا لا أحب ملابسك فأنت تبدو فيها مضحكا للغاية . أى شىء فى الوجود يمنعك من الصعود الى البيت وخلعها ؟ انى لأعتبر هذا من السخافات الغريبة المضحكة .

چاك : انك بكل تأكيد لن تبقى معى أسبوعا كاملا . لا بصفتك ضيفا ولا بأية صفة أخرى . يتحتم عليك أن تبرح فى قطار الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة .

الجيرنن : من المؤكد أننى لن أتركك وحيدا طالما أنت فى ثياب الحداد . ان هذا ليكون منافيا للصداقة كل المنافاة . لو أنك فعلت لعددت ذلك منك قسوة بالغة .

چاك : حسن . أوتذهب ان أنا غيرت ثيابى ؟

الجيرنن : نعم ، ان لم تستغرق فى ذلك وقتا طويلا . ما رأيت فى حياتى أحدا يستنفد فى ارتداء

ملابسه ما تستنفد أنت من وقت طويل ، دون نتيجة تذكر .

چاك : حسن . هذا على أى حال أفضل من أن أكون دائما مغاليا فيما ألبس كما تفعل أنت .

الچيرنن : اذا كنت فى بعض الأحيـان مغاليا بعض الشىء فيما أرتدى ، فانما يشفع لى فى ذلك أننى شديد المغالاة على الدوام فى التأدب .

چاك : ان غرورك لمضحك ، وسلوكك لفاضح ، وان وجودك فى حديقتى لغاية فى السخف . وعلى أية حال يتحتم عليك أن تستقل قطار الرابعة وخمس دقائق .. وانى لأرجو لك رحلة ممتعة فى عودتك الى المدينة . هذا « التبنبر » كما تسميه لم يعد محققا لك نجاحا عظيما .

(يدخل البيت)

الچيرنن : بل أعتقد أنه بالفعل قد حقق لى نجاحا عظيما . اننى و سيسيلى نتبادل الحب . وذلك عندى هو كل شىء .

(تدخل سيسيلى من مؤخرة الحديقة تلتقط رشاشة وتأخذ فى رى الأزهار)

ولكن لا بد لى من أن أراها قبل ذهابى ، لكى أعد العدة لينبرة أخرى . آه ها هى ذى .

سيسيلى : أوه ! انما قد رجعت لرى الورود . ظننت أنك مع العم چاك .

الچيرنن : لقد ذهب ليأمر باحضار العربة من أجلى .

سيسيلى : أوه . أمعتزم هو اصطحابك الى نزهة لطيفة ؟

الچيرنن : بل معتزم ترحيلى .

سيسيلى : واذن ، هل كتب علينا أن نفترق ؟

الچيرنن : أخشى أن يكون الأمر كذلك . وانه لفراق جد أليم .

سيسيلى : انه لمن المؤلم دائما أن يفارق الانسان من لم يمض على تعرفه بهم الا القليل ، قد يستطيع المرء أن يحتمل فى سكينة وثبات جأش ، بعاد الأصدقاء القدامى . أما مفارقة المرء لمن تعرف بهم توا ، فأمر يكاد يكون فوق طاقة الاحتمال .

الچيرنن : شكرا .

(يدخل ميريمان)

ميريمان : العربة بالباب يا سيدى .

(الچيرنن ينظر الى سيسيلى مستنجدا)

سيسيلى : يمكنها الانتظار خمس دقائق ياميريمان .

ميريمان : سمعا وطاعة يا آنسة .

(يخرج ميريمان)

الجيرنن : آمل ، سيسيلى ، ألا أغضبك اذا صرحت لك بمنتهى الجلاء والوضوح ، أنك تبدين لى كما لو كنت من جميع الوجوه المعنى المجسم للكمال المطلق .

سيسيلى : ما أظن صراحتك الا جديرة بأن تزيدك قدرا وحظوة يا ايرنست سأنسخ قولك فى دفتر يومياتى ان أذنت .

(تقصد الى المصدة وتبدأ الكتابة فى دفتر اليوميات)

الجيرنن : أحقا أنك تحتفظين بدفتر يوميات ؟ انى لا أضن بأى شىء فى سبيل القاء نظرة عليه . أتسمحين ؟

سيسيلى : أوه ، لا . (تضع يدها فوق الدفتر) أنت ترى آنه مجرد سجل لأفكار وانطباعات فتاة فى ميعة الصبا ، وهو بالتالى مقصود به أن ينشره الناشرون يوما ما . آمل عندما يظهر على شكل كتاب ، أن تطلب نسخة . ولكن أرجوك

ايرنست ، لا تتوقف عن الاسترسال فيما كنت تقول . انه ليروقني أن أسجل ما يملي . لقــد وصلت الى « الكمال المطلق » . تستطيــع أن تستمر ، فاني على استعداد تام للمزيد .

الجيرنن : (في شيء من الدهشة) احم ! احم !

سيسيلى : أوه . لا تسعل ايرنست . عند الاملاء يتعين على المرء أن يتكلم في طلاقة وألا يسعل . والى جانب ذلك فأنا لا أعرف أن أتهجى السعال .

(تكتب بينما يتكلم الجيرنن)

الجيرنن : (متكلما في اندفاع سريع جدا) سيسيلى . مــن اللحظة الأولى التي تطلع فيها بصري الى جمالك الرائع الفريد ، تجاسرت وأحببتــك في اندفاع وتأجج ، وتعبد ويأس .

سيسيلى : ما أظن أنه كان عليك أن تخبرني أنك تحبني في اندفاع وتأجج وتعبد ويأس . فكلمة اليأس هنا ليس فيها كثير معنى . أليس كذلك ؟

الجيرنن : سيسلى ! ..

(يدخل ميريمان)

ميريمان : العربة فى الانتظار يا سيدى .

الجيرنن : قل لها أن تأتى الأسبوع المقبل فى الساعة نفسها.

ميريمان : (ينظر الى سيسيلى التى لاتبدو عليها بادية)

سمعا يا سيدى .

(ميريمان ينسحب خارجا)

سيسيلى : العم چاك سيكون فى غاية الضيق اذا عرف أنك باق هنا حتى الساعة نفسها من الأسبوع المقبل .

الجيرنن : أوه ، انى لا أهتم لچاك . انى لا أهتم لأحد فى العالم سواك . ستتزوجيننى ، أليس كذلك ؟

سيسيلى : أيها الصبى الأبله ! بالطبع . كيف لا ونحن خطيبان منذ ثلاثة شهور ؟

الجيرنن : منذ ثلاثة شهور ؟

سيسيلى : نعم . سيكون قد مضى على ذلك ثلاثة شهور يوم الخميس المقبل .

الجيرنن : لكن كيف صرنا خطيبين ؟

سيسيلى : منذ أن اعترف لنا العم چاك لأول مرة ، بأن له أخا أصغر غاية فى الشر والفساد ، كنت أهم ما يدور حوله الحديث بينى ومس پرزم ،

والرجل الذى هو مدار حديث الناس ، يكون بطبيعة الحال دائما جذابا . فالمرء يحس لا محالة بأنه لا بد أن يكون لديه شىء من المزايا على كل حال . ولربما كان ذلك حماقة منى . ولكنى وقعت فى حبك يا ايرنست .

الجيرنن : حبيبتى . ومتى تمت الخطبة بالفعل ؟

سيسيلى : فى الرابع عشر من شهر فبراير الماضى . ان جهلك المطلق حتى بمجرد وجودى ، قد أضنانى ونال منى ، فاعتزمت أن أضع للأمر حدا بطريقة أو بأخرى . وبعد طول الجهاد بينى وبين نفسى ، رضيت بك تحت هذه الشجرة العجوز العزيزة . وفى اليوم التالى اشتريت هذا الخاتم الصغير نيابة عنك ، وهذا هو الخاتم الصغير وبه شارة المحب الصادق — وهو الذى وعدتك أن ألبسه على الدوام .

الجيرنن : أو قدمت اليك هذا ؟ انه لجميل جدا أليس كذلك ؟

سيسيلى : نعم . انك لآية فى حسن الذوق يا ايرنست ،

وانه للعذر الذى كنت دائما ألتمســه لك فيما اخترته لنفسك من حياة فاسدة ، وهـــذا هو الصندوق الذى أحتفظ فيه بكل رسائلك الغالية

(تركع بجانب المنضدة . تفتح الصـــندوق وتخرج منه الرسائل محزومة بشريط أزرق)

الجيرنن : رسائلى ! ولكن يا عزيزتى الحلوة سيسيلى ، لم يحدث أبدا أن كتبت لك أية رسائل .

سيسيلى : لا أظنك بحاجة الى تذكيرى بذلك يا ايرنست فانى لأذكر أشد الذكر أننى كنت مضطـرة أن أكتب رسائلك نيابة عنك . وكنت مواظبة على الكتابة ثلاث مرات فى الأسبوع وأحيانا أكثر .

الجيرنن : أوه . أتسمحين لى أن أقرأها سيسيلى ؟

سيسيلى : أوه . لا أرانى مستطيعة ذلك ، فانها ستملأك زهوا وخيلاء (تعيد الصندوق الى مكانه) الرسائل الثلاث التى كتبتها لى بعد أن فسخت خطبتنـا ، هى من فرط الجمال وكثرة الأغلاط الهجائيـة بحيث لا أكاد أستطيع الآن قراءتهـا دون أن أجهش بالبكاء .

الچيرنن : ولكن هل حدث لخطبتنا أن فسخت يوما ؟

سيسيلى : طبعا حدث . كان ذلك فى الثانى والعشرين من مارس الماضى . تستطيع أن ترى ذلك فى دفتر يومياتى ان شئت (تطلعه على «دفتر» اليوميات) اليوم فسخت خطبتى مع ايرنست . أشعر أن ذلك هو الأفضل . الطقس مازال ساحرا .

الچيرنن : ولكن أى سبب فى العالم ذلك الذى حملك على فسخها ؟ ما الذى كنت قد فعلت ؟ أنا ما فعلت شيئا بالمرة . سيسيلى ، أنا فى الحق قد تأذيت كثيرا بسماعى أنك قد فسختها . خصوصا وقد كان الطقس ساحرا كل ذلك السحر .

سيسيلى : ما كان لها أن تكون خطبة جدية لو لم تفسخ على الأقل مرة . على أننى صفحت عنك قبل أن ينقضى الأسبوع .

الچيرنن : (عابرا اليها ثم راكعا) أى ملاك رحيم أنت سيسيلى .

سيسيلى : يا للصبى العزيز الشاعرى العواطف .

(يقبلها فتجيل أصابعها فى ثنايا شعره)

آمل أن يكون تجعيد شعرك طبيعيا . أهو كذلك ؟

الجيرنن : نعم يا حبيبتى . مع بعض المعاونة من الغير .

سيسيلى : لكم أنا مسرورة فرحة .

الجيرنن : سوف لا تفسخين خطبتنا مرة أخرى سيسيلى ؟

سيسيلى : ما أحسبنى قادرة على فسخها بعد أن تحقق بيننا اللقاء . ثم ان هناك الى جانب ذلك بالطبع ، مسألة اسمك .

الجيرنن : نعم ، بالطبع . (فى عصبية)

سيسيلى : يجب ألا تضحك منى يا حبيبى ، فانه كان دائما من أحلام صباى أن أكون حبيبة شخص مايحمل اسم ايرنست (الجيرنن ينهض وكذلك تفعل سيسيلى) يوجد فى ذلك الاسم شىء ما ، يبعث فى النفس منتهى الثقة والطمأنينة . انى لأرثى لأية امرأة متزوجة مسكينة ، لا يكون اسم زوجها ايرنست .

الجيرنن : ولكن ، يا صغيرتى العزيزة ، أتعنين بقولك هذا ، أنك ما كنت تحبيننى لو كنت أسمى باسم آخر؟

سيسيلى : ولكن بأى اسم ؟

الچيرنن : أوه ، أى اسم تشائين — الچيرنن — مثلا .

سيسيلى : ولكنى لا أحب اسم « الچيرنن » .

الچيرنن : هيا ، يا محبوبتى الصغيرة ، العزيزة ، الحلوة ، المحبة ، أنا فى الحق لا أرى مبررا لاعتراضك على اسم الچيرنن . انه اسم ليس رديئا على الاطلاق . بل انه فى الحق اسم أرستقراطى . وان نصف عدد الشبان الذين يقدمون الى محكمة اشهار الافلاس ، انما يحملون اسم الچيرنن . لكن خبرينى جديا يا سيسيلى (دارجا نحوها) لو أن اسمى كان آلچى ، أوكان لا يسعك أن تحبينى ؟

سيسيلى : (ناهضة) لربما كنت أحترمك ايرنست ، ربما كنت أعجب بخلقك . ولكنى أخشى ألا أكون قادرة على أن أخصك وحدك بكل اهتمامى .

الچيرنن : احم ! سيسيلى (ملتقطا قبعته) راعى كنيستكم أحسب أنه خبير فى اقامة كل الطقوس والشعائر الكنسية ؟

سيسيلى : أوه ، نعم . دكتور تشوزيبل رجـل من أعلم الناس . انه لم يؤلف فى حياته كتابا واحـدا ، ومن ثمة تستطيع أن تتخيل عظم ما بلغ من العلم.

الجيرنن : يجب أن أقابله فورا بخصوص تعميـد فى غاية الأهمية — أقصد بخصوص أمر بالغ الأهمية .

سيسيلى : أوه !

الجيرنن : لن أغيب عنك أكثر من نصف ساعة .

سيسيلى : اذا أخذنا فى الاعتبار أننا مخطوبان منذ الرابع عشر من فبراير وأننى اليوم فقط قابلتك لأول مرة ، أعتقد أنه أقرب الى القسوة أن تغيب عنى فترة تطول الى نصف ساعة . أولا تستطيـع اختصارها الى عشرين دقيقة ؟

الجيرنن : سأعود بعد فترة من الوقت لأتذكر .

(يقبلها ويندفع خارجا عبر الحديقة)

سيسيلى : يا له من فتى عنيف الشعور ! انى أحب شعره كثيرا . يجب أن أسجل خطبتـه الواقعيـة فى دفتر يومياتى .

(يدخل ميريمان)

ميريمان : آنسة تدعى فيرفاكس قد وصلت توا لمقابلة مستر وردنج فى شأن بالغ الأهمية ، هكذا تقرر مس فيرفاكس .

سيسيلى : أوليس مستر وردنج فى مكتبته ؟

ميريمان : مستر وردنج أخذ سبيله فى اتجاه الكنيسة منذ وقت غير بعيد .

سيسيلى : أناشدك أن ترجو السيدة فى أن تخرج الينا هنا ، فمستر وردنج لا شك عائد عما قليل . ويمكنك أن تحضر الشاى .

ميريمان : سمعا يا آنسة . (يخرج)

سيسيلى : مس فيرفاكس ! أحسب أنها واحدة من كثيرات النساء العجائز الخيرات اللاتى يلتقين بالعم چاك ويتعاون معه فى بعض أعماله الخيرية فى لندن . انى لا أحب النساء اللاتى يشتغلن بالأعمال الخيرية . أعد ذلك منهن تطاولا واجتراء .

(يدخل ميريمان)

ميريمان : مس فيرفاكس .

(تدخل جويندولين . يخرج ميريمان)

سيسيلي : (متقدمة للقاء الوافدة) أناشدك أن تسمى لى بتقديم نفسى اليك . اسمى هو سيسيلى كاردو .

جويندولين : سيسيلى كاردو ؟ (تقصد اليها وتصافحها) يا له من اسم عذب ! نفسى تحدثنى بأننا مقبلتان على صداقة متينة . انى أحبك مقدما حبا يقصر كلامى عن وصفه . ان أحاسيسى الأولى تجاه الناس لا تخطىء أبدا .

سيسيلي : أوه ، يا له من ظرف عظيم منك أن توليننى كل ذلك الحب ولما يمض على تعارفنا بعد غير وقت قصير . أرجو أن تتفضلى بالجلوس .

جويندولين : (ما تزال واقفة) أستطيع أن أناديك بسيسياى أفلا أستطيع ؟

سيسيلي : بكل سرور .

جويندولين : وستنادينني أنت أيضا بجويندولين ، أفلا تفعلين ؟

سيسيلى : ان كان هذا يروقك .

جويندولين : اذن فقد قضى الأمر ، أليس كذلك ؟

سيسيلى : آمل أن يكون كذلك .

(فترة صمت • كلتاهما تجلسان معا)

جويندولين : لقد تكون هذه فرصـــة مواتية لأن أذكر لك من أنا . والدى هو لورد « براكنل » . لعلك لم تسمعى من قبل عن بابا ؟

سيسيلى : لا أحسبنى سمعت عنه .

جويندولين : خارج نطاق العـائلة ، بابا ، وانى ليسعدنى أن أقولها ، رجل غير معـروف بالمرة . وأظن أن وقوع ذلك أمر مطابق تمـاما لمـا كان يجب . فالبيت فيما يبدو لى هو النطاق الأليق بالرجل . ومن المؤكد أنه ، ما ان يبدأ رجل فى التخلى عن واجباته المنزلية ، الا ويصبح للأسف الشـديد مؤنثا أوليس كذلك ؟ وانى لا أحب ذلك . انه يجعل الرجال أكثر فتونا وأشـــد جاذبيـة . سيسيلى ، ان ماما ، ولهـــا فى التربيـة آراء متزمتة بشكل ملحوظ ، قد نشـأتنى على أن

أكون قصيرة النظر جدا ، وهذا جزء من منهجها في التربية . وعليه أفيضايقك ان أنا حدقت النظر اليك من خلال نظارتي ؟

سيسيلي : أوه ! كـلا على الاطـلاق يا جويندولين . اني لشديدة الولع بأن أكون محط الأنظار .

جويندولين : (بعد تفحصها سيسيلي بعناية واهتمام من خلال نظارتها ذات المقبض)

انك هنا في زيارة قصيرة على ما أعتقد .

سيسيلي : أود لا ! فاني أعيش هنا .

جويندولين : (في حدة) حقا ؟ فأمك ولا شك ، أو واحدة من قريباتك المتقدمات في السن ، تسكن هنـا هي الأخرى ؟

سيسيلي : أوه لا ! ليس لي أم ، ولا أقارب في واقع الأمر.

جويندولين : حقا ؟

سيسيلي : ان عزيزي القيم علي ، هـو الذي يتجشم أمر رعايتي تساعده في ذلك مس پرزم .

جويندولين : القيم عليك ؟

سيسيلي : نعم ، فانني تحت وصاية مستر ورذنج .

جويندولين : أوه ! غريب أنه لم يذكر لي البتة أنه وصي على

أحد . يا له من رجل كتوم ! انه ليزداد كل ساعة لفتا للنواظر وامتاعا للخواطر . على كل حال ، لست متأكدة من أن الخبر يبعث فى نفسى مشاعر سرور خالص لا تشوبه شائبة (ناهضة وذاهبة اليها) انى لشديدة الحب لك سيسيلى . لقد أحببتك منذ أول لحظة قابلتك فيها ! بيد أنى الآن وقد عرفت أنك تحت وصاية مستر وردنج ، أرانى مضطرة أن أصرح بأننى أتمنى لو كنت — ماذا أقول — لو كنت أكبر بقليل مما تبدين ، وأقل مما أنت عليه من الفتنة وسحر الطلعة . والواقع ، اذا كان لى أن أتكلم فى اخلاص وصراحة ...

سيسيلى : تكلمى أرجوك ! انى أعتقد أن من كان لديه أقوال لا تسر ، يتعين عليه أن يصطنع الاخلاص والصراحة .

جويندولين : حسن ، ولكى يكون كلامى فى منتهى الاخلاص والصراحة أقول سيسيلى ، انى أتمنى لو أنك كنت قد سلخت من العمر اثنتين وأربعين سنة كاملة ، وأنك كنت أكثر افتقارا الى الجمال ممن

تكون فى هذه السن . ان لايرنست خلقا قويا سويا . انه مثال الصدق والشرف . انه لمن المحال أن يكون من شيمته عدم الوفاء والخديعة . ولكن الرجال ، حتى من أوتى منهم أنبل الصفات الخلقية ، هم أشد مايكونون تأثرا بما أوتى الغير من المفاتن الجسدية . والتاريخ الحديث ، لا يقل عن القديم فى كثرة ما يزودنا به من الأمثلة الفاجعة الأليمة على ما أعنيه وأشير اليه . ان لم يكن التاريخ كذلك لما كان صالحا للقراءة .

سيسيلى : معذرة جويندولين أو قلت ايرنست ؟

جويندولين : نعم .

سيسيلى : أوه ، ولكن مستر ايرنست ورذنج ليس هو الوصى علىّ . انما الوصى هو أخوه ، أخوه الأكبر .

جويندولين : (جالسة مرة أخرى) يذكر لى لكن ايرنست لم أبدا أن له أخا .

سيسيلى : يؤسفنى أن أقول انهما لم يكونا على صلات حسنة منذ زمن بعيد .

جويندولين : آه ! هذا تعليل مقبول . والآن وبعد الروية أذكر فعلا أننى لم أسمع قط رجلا يذكر أخاه . يظهر أن ذلك أمر لا يستسيغه معظم الرجال سيسلى ، لقد أزحت عن ذهنى عبئا ثقيلا . لقد كان يساورنى القلق حتى كاد يستبد بى . ما كان أفظع الأمر لو أن سحابة غامت على صداقة مثل صداقتنا ، أليس كذلك ؟ انك بالطبع متأكدة غاية التأكد من أن مستر ايرنست ورذنج ليس هو الوصى عليك ؟

سيسيلى : متأكدة تماما . (فترة صمت) فى الواقع أننى سأكون له .

جويندولين : (مستوضحة) أرجو المعذرة ، ماذا ؟

سيسيلى : (أقرب ما تكون الى الخجل ، وبلهجة من يبوح بالسر لمن يأتمنه عليه)

أيتها العزيزة جويندولين ، ليس ثمة مبرر لأن أكتم هذا السر عنك . فان الصحيفة المحلية الصغيرة التى تصدرها مقاطعتنا ستنشر الخبر ولا شك فى الأسبوع المقبل . ان مستر ايرنست

ورذنج وأنا ، مرتبطان بخطبة رسمية للزواج .

جويندولين : (فى أدب جم وهى ناهضة) سيسيلى ، يا حبيبتى ، أعتقد أن فى الأمر لا محالة غلطة طفيفة . فمستر ايرنست ورذنج مخطوب لى أنا . وسيظهر الاعلان عن ذلك فى صحيفة المورننج بوست يوم السبت على الأكثر .

سيسيلى : (فى أدب جم وهى ناهضة)أخشى أن تكونى واهمة فى تصورك . فايرنست قد خطبنى منذ عشر دقائق على وجه التحديد .

(تريها دفتر اليوميات)

جويندولين : (تتفحص دفتر اليوميات من خلال نظارتها بكل اهتمام)

حقا انه لأمر فى منتهى الغرابة ، لأنه قد طلب منى أن أكون زوجته ، كان ذلك بعد ظهر أمس فى الساعة الخامسة والنصف . وان كان يهمك التحقق من ذلك فافعلى أرجوك .

(تخرج دفتر يومياتها كذلك)

أنا لا أسافر أبدا الا ومعى دفتر يومياتى .

يجب أن يكون مـع المرء دائمـا شيء مثـير ليقرأه فى القطار . انى آسفة جدا أيتها العزيزة سيسيلى ، على ما قد أكون سببت لك من خيبة الأمل ، على أننى أحسبنى صاحبة الأولوية فى المطالبة بالحق .

سيسيلى : لا يمكننى أن أعبر لك عن مدى ألمى أيتهـا العزيزة جويندولين ، اذا كنت قد تسببت لك فى أى ألم ذهنى أو جسـدى ، ولكنى أرانى مضطرة أن أسترعى نظرك الى أن ايرنست ان كان قد تقدم لخطبتك ، فقد عاد فعدل عن رأيه .

جويندولين : (فى تأمل وترو) لئن كان الفتى المسـكين قد استدرج الى التورط فى الارتباط بوعد أحمق ، فانى أعتبر من واجبى أن أستنقذه فى الحال بكل ما أوتيت من عزيمة وقوة .

سيسيلى : (بتمعن واكتئاب) أيا كانت الأحابيل التعسة التى تورط فيها فتاى العزيز ، فلن ألومه عليها بعـد زواجنا .

جويندولين : أو تعنينني مس كارديو بكلمة الأحابيل ؟ انك لدعية متطاولة . فى حالة مثل هـــذه ، تصبح مجاهرة المرء برأيه واجبا وأكثر من واجب . انها تصبح متعة .

سيسيلى : أوتقصـــدين مس فيرفاكس أننى استدرجت ايرنست الى خطبتى ؟ كيف تجرؤين ؟ لقد آن أن أخلع قناع المجاملة الواهى . اذا رأيت جاروفا ، أسميته جاروفا .

جويندولين : (فى سخرية) يسعدنى أن أقول اننى لم أر فى حياتى جاروفا . وهذا يوضح الفرق الشاسع بين وسطينا .

(يدخل ميريمان يتبعه خادم المـــائدة الذى يحمل صينية ومفرشا للمـــائدة وحامـــلا للاطباق . سيسيلى كانت على وشك أن ترد على هذا التعريض بمثله ، الا أن حضـــــور الخادمين جعل الفتاتين تكظمان غضبهما الذى تغلى مراجله)

ميريمان : أأضع الشاى هنا كالمعتاد يا آنسة ؟

سيسيلى : (فى عبوس وصوت هادىء) نعم كالمعتاد .

(ميريمان ، يبدأ فى تهيئة المنضدة ويغطيها بالمفرش . فترة صمت طويلة . سيسيلى وجويندولين تحملق كل منهما فى الاخرى بتحد)

جويندولين : أيوجد فى جواركم متنزهات يستحب فيها المشى مس كاردو ؟

سيسيلى : أوه ! نعم ! كثيرة جدا . من قمة أحد التلال المجاورة يستطيع الانسان أن يرى خمس مقاطعات .

جويندولين : خمس مقاطعات ! أوه ! ما أظننى أستحب هذا ، انى أكره الزحام .

سيسيلى : (فى عذوبة) ومن أجل ذلك تعيشين فى المدينة !

(جويندولن تعض شفتها وتضرب قدمها بمظلتها فى عصبية)

جويندولين : (متلفتة حوالبها) يا لها من حديقة معتنى بها مس كاردو !

سيسيلى : يسعدنى أنها أعجبتك مس فيرفاكس .

جويندولين : لم أكن أتصور أن بالريف أية أزهار .

سيسيلى : أوه ، الأزهار هنا شىء عادى مس فيرفاكس كالناس فى لندن .

جويندولين : أنا شخصيا لا أستطيع أن أفهم كيف يطيق البقاء فى الريف انسان ، ان كان يعيش فى الريف انسان

بمعنى الانسان . الريف دائما ثقيل على نفسى كالموت .

سيسيلى : آه ، هذا هو ما تسميه الصحف بالاكتئاب الزراعى ، أليس كذلك ؟ أعتقد أن الطبقة الأرستقراطية تقاسى الآن من ذلك كثيرا فى الوقت الحاضر . ان ذلك الاكتئاب ينتشر بينهم انتشار الوباء فيما قيل لى . أتسمحين أن أقدم لك بعض الشاى مس فيرفاكس ؟

جويندولين : (فى تأدب مصطنع) شكرا لك (جانبا) فتاة بغيضة ! غير أنى أحس الحاجة الى الشاى !

سيسيلى : (فى عذوبة) سكر ؟

جويندولين : (متعالية متغطرسة) كلا أشكرك . لم يعد السكر من متبعات هذا العصر .

(سيسيلى تنظر اليها فى غضب ، تمسك بالملقاط ، وتضع به أربع قطع من السكر فى القدح)

سيسيلى : (فى صرامة) كعك أم خبز بالزبدة ؟

جويندولين : (فى ضيق) خبز بالزبدة من فضلك . الكعك قلما يظهر له أثر فى أعظم البيوتات هذه الأيام .

سيسيلى : (تقطع شريحة كبيرة من الفطير وتضعها على الصينية)

قدم ذلك الى مس فيرفاكس

(يفعل ميريمان ما أمر به . ثم يخرج مع خادم المائدة . جويندولين تشرب الشاى . تقطب وتنقبض أسارير وجهها . تضع القدح فى الحال . تمديدها تأخذ شيئا من الخبز بالزبدة . تنظر اليه فتجد أنه كعك . تهب واقفه فى سخط)

جويندولين : لقد أفعمت قدح شايى بقطع السكر . وبالرغم من أننى طلبت بكل وضوح خبزا بالزبدة ، أعطيتنى كعكا. اننى معروفة بدماثة خلقى وعذوبة شمائلى ، ولكنى أحذرك مس كارديو فلقد تماديت فى الشطط .

سيسيلى : (ناهضة) فى سبيل انقاذ فتاى المسكين البرىء السليم النية ، من أحابيل أية فتاة أخرى ، لا أدخر جهدا ولا أحجم عن الذهاب الى أى مدى .

جويندولين : من أول لحظة رأيتك لم أثق بك ولم آمن

جانبك . شعرت أنك كاذبة ومخادعة . لم يحدث أن انخدعت أبدا فى مثـــل تلك الأمور . ان انطباعاتى الأولى عن الناس صادقة دائما .

سيسيلى : يبدو لى مس فيرفاكس أننى افتأت على وقتك الغالى . لا شك أن لديك من الطراز نفســـه زيارات أخرى عديدة ، تقومين بها فى هــــذه الناحية .

(يدخل چاك)

جويندولين : (يقع بصرها عليه) ايرنست ! ايرنستى !

چـــاك : جويندولن ! حبيبتى !

(يهم بتقبيلها)

جويندولين : (متراجعة القهقرى) لحظة ! الى أن أســـأل ان كنت مرتبطا بالخطبة للزواج من هذه الشابة ؟

(تشير الى سيسيلى)

چـــاك : (ضاحكا) من صغيرتى العزيزة سيسيلى بالطبع لا ! ما الذى أدخل مثل هذا الخاطر فى رأسك الصغير الجميل ؟

جويندولين : شكرا لك . الآن يمكنك ! (تعرض خدها)

سيسيلى : (فى منتهى الرقة والعذوبة) كنت أعلم أن فى الأمر

ولا شك شيئا من سوء التفاهم مس فيرفاكس .
ان السيد الذى يطوق خصرك بذراعه هو وصيى القيم على ، مستر چون ورذنج .

جويندولين : معذرة ، ماذا ؟

سيسيلى : هذا هو العم چاك .

جويندولين : (متراجعة) چاك ! أوه !

(يدخل الچيرنن)

سيسيلى : ها هو ذا ايرنست .

الچيرنن : (قاصدا الى « سسيلى » دون أن يلحظ وجود أحد) يا حبى (يهم بتقبيلها)

سيسيلى : (متراجعة عنه لحظة) يا ايرنست ! الى أن أسألك ان كنت مرتبطا بالخطبة للزواج من هذه الشابة ؟

الچيرنن : (ملتفتا حوله) أية شابة ؟ معاذ الله ! جويندولين !

سيسيلى : نعم ! معاذ الله ، جويندولين، أعنى جويندولين.

الچيرنن : (ضاحكا) بالطبع لا ! ما الذى أدخل مثل هذا الخاطر فى رأسك الصغير الجميل ؟

سيسيلى : شكرا لك :(مقدمة اليه خدها ليقبلها) يمكنك الآن (يقبلها الجيرنن)

جويندولين : كنت شاعرة بأن فى الأمر غلطة طفيفة ، مس كاردو . السيد الذى يعانقك الآن هو ابن خالتى ، مستر الجيرنن مونكريف .

سيسيلى : (منفلتة من بين أحضان الجيرنن)
الجيرنن مونكريف ! أوه !

(تقبل كل من الفتاتين على الأخرى . وتتخاصران ، كأنهما تعتصمان بهذا التقارب)

أوهل تدعى الجيرنن ؟

الجيرنن : لا أستطيع أن أنكر ذلك .

سيسيلى : أوه !

جويندولين : أحقا ان اسمك جون ؟

جاك : (واقفا فى اعتداد وخيلاء)
أستطيع أن أنكر ذلك اذا أردت . أستطيع انكار أى شيء ان أنا أردت . ولكن اسمى بالتأكيد هو جون . وقد كان جون منذ سنوات وسنوات .

سيسيلى : (مخاطبة جويندولن)

خدعة فظة كبرى تلك التى أوقعنا فى حبائلها نحن الاثنتين .

جويندولين : يا مسكينتى المجروحة سيسيلى !

سيسيلى : يا حلوتى المظلومة جويندولين !

جويندولين : (فى تباطؤ وفى جد) ستنادينني بيا أختـــاه ، أو لا تفعلين ؟

(تتعانق الفتاتان . چاك والجيرنن يذرعان المكان صعودا ونزولا وهما يزمجران)

سيسيلى : (أقرب الى الاشراق) لدى سؤال واحـد تمنيت لو سمح لى بتوجيهه الى الوصى على .

جويندولين : فكرة بديعة ! مستر ورذنج ، هنـالك سـؤال واحد تمنيت لو أذن لى أن أوجهه اليك . أين أخوك ايرنست ؟ نحن الاثنتين مخطوبتان للزواج من أخيك ايرنست ، وعليه ، فانه أمر لا يخلو من الأهمية بالنسبة لنا أن نعرف أين يوجد أخوك ايرنست حاليا .

چاك : (فى تباطؤ وتردد) جويندولين — سيسيلى — انه ليؤلمنى أشد الألم أن أضطر الى قول الحق .

وانها للمرة الأولى فى حياتى ، التى أضطر فيها الى أن أقف هذا الموقف الأليم ، ولا سيما أنى فى الواقع لم تسبق لى البتة تجربة أى شىء من هذا القبيل . بيد أننى على أية حال أقول لكما فى صرحة تامة انه ليس لى أخ يدعى ايرنست . بل انه ليس لى أخ على الاطلاق . لم يحدث طوال حياتى أن كان لى أخ ، كما أنه ليس عندى بالتأكيد أدنى رغبة فى أن يكون لى أخ فى المستقبل .

سيسيلى : (مندهشة) تقول أنه ليس لك أخ على الاطلاق؟

چاك : (فى سعادة وحبور) على الاطلاق !

جويندولين : (فى شدة) لم يكن لك يوما أخ من أى نوع ؟

چاك : (فى سرور) أبدا . ولا من أى نوع .

جويندولين : أخشى اذن يا سيسلى ، أن كلا منا ليست مخطوبة للزواج من أحد .

سيسيلى : انه لوضع غير سعيد هذا الوضع الذى تجد نفسها فيه فجأة شابة فى مقتبل العمر ، أليس كذلك ؟

جويندولين : هيا بنا ندخل البيت . لا أحسب أنهما يغامران بالدخول خلفنا .

سيسيلى : لا ، فالرجال فى منتهى الجبن ، أليس كذلك ؟

(تنسحبان الى داخل البيت وهما ترميان الرجلين بنظرات الازدراء والاستخفاف)

چاك : هذه الحال الكئيبة هى ما تسميه « التبنبر » على ما أعتقد ؟

ميريمان : نعم ، وانه لتبنبر مكتمل الروعة . أعظم وأروع تبنبر قمت به طوال حياتى .

چاك : مهما يكن من أمر ، فأنت لا حق لك فى أن تتبنبر هنا .

الچيرنن : كلام فارغ . للانسان أن يتبنبر حيثما يشاء . كل بنبورى جاد ، يعرف ذلك .

چاك : بنبورى جاد ! يا لرحمة السماء !

الچيرنن : لا بد أن يجد المرء فى الاهتمام بشىء ما ، حتى يجد فى الحياة ما يلهو به . ولقد اتفق لى أن كنت جادا فى التبنبر . أى شىء على وجه الأرض

أنت جاد فيه ؟ ليس عندى عن ذلك أدنى فكرة ؟ لعلك جاد فى كـــل شىء . أعــرف أن لك تلك الطبيعة السطحية التى تهتم لكل تافه !

چاك : حسن ، ان عزائى الوحيد اليسير ، الذى وجدته فى هذه الفعلة التعسة ، هو أن صديقك بنبرى قد انفجر وانتهى أمره ، فلن يكون بوسعك أن تنحدر الى الريف مرات عديدة كما كنت تفعل يا عزيزى آلچى . وانها لنتيجة حسنة حقا .

الچيرنن : ان أخاك قد بهت لونه وامحى ، أليس كذلك ؟ يا عزيزى چاك لن يكون بوسعك أن تكثر من الاختفاء عن الريف والظهور فى لندن كما كانت عادتك الشريرة . وانها لنتيجة حسنة كذلك .

چاك : أما عـــن تصرفك تجاه مس كاردو ، فيجب أن أقول ان استدراجك لمثــل تلك الفتــاة الحلوة البسيطة البريئة ، لجرم لا يغتفر . وهــذا دون أن ندخل فى الحساب أنها تحت وصايتى .

الچيرنن : وأنا لا أرى لك البتــة دفاعا عن نفسك يمكن أن يشفع لك فى مخادعتك لشابة ذكيــة بارعة

مثقفة كمس فيرفاكس . وهذا دون أن ندخل فى الحساب أنها ابنة خالتى .

چاك : انما كنت أبغى الزواج من جويندولين ، هذا كل ما فى الأمر . انى أحبها .

الجيرنن : حسن . وأنا بكل بساطة كنت أبغى الزواج من سيسيلى . اننى أعبدها .

چاك : من المؤكد أنه لم يعد لك من أمل فى الزواج من مس كاردو .

الجيرنن : كذلك لم يعد هناك أى احتمال لزواجك من مس فيرفاكس .

چاك : حسن ، هذا ليس من شأنك .

الجيرنن : لو أن هذا كان من شأنى لما جرى ذكره على لسانى (يبدأ أكل الكعك) انه لمن العادات السوقية أن يتكلم الانسان فيما يعنيه . ان سماسرة البورصة هم وأمثالهم دون غيرهم من يفعلون ذلك ، وفى حفلات العشاء فقط .

چاك : كيف يطيب لك أن تجلس هناك فى هدوء تأكل الفطائر ، بينما نحن فى مثل هذا الموقف الضنك

المسير ؟ هذا ما لا يتسنى لى ادراكه . يبدو لى انه لا قلب لك على الاطلاق .

الجيرنن : حسن . انى لا أستطيع أكل الفطير وأنا فى حالة ثورة وعدم استقرار ، والا كان من المرجح أن تتساقط الزبدة على أكمامى . فلا مندوحة للمرء من تناول الفطائر دائما فى هدوء . هـذه هى الطريقة الوحيدة التى تؤكل بها الفطائر .

جاك : بل أقول ان مجرد أكلك الفطائر فى مثل هـذه الظروف ، لشاهد على أنك عديم القلب .

الجيرنن : عنـدما أكون فى محنـة يكون الأكـل عزائى الوحيد ، والحق أنى حين أكون فى محنة كبرى — كما يخبرك بذلك كل من يعرفنى حـق المعرفة — أرفض كل شىء عدا الطعام والشراب ، وأنا الآن انما آكل الفطير لأنى مبتئس . ثم انى الى جانب ذلك من هواة الفطائر (ينهض)

جاك : (ناهضا) حسن ؛ ليس هذا بالذى يبرر لك أن تأكل الفطائر عن آخرها بمثل هذه الشراهة (يختطف الفطير من الجيرنن)

الچيرنن : (يقدم اليه كعكة الشاى) بودى لو أخذت كعكة الشاى بدلا من الفطائر . انى لا أحب كعكة الشاى .

چاك : يا لرحمة السماء ! أتعتقد أن من حق الرجل أن يأكل فطائره الخاصة فى حديقته الخاصة .

الچيرنن : ولكنك قلت توا ان الذى يأكل الفطائر يكون حتما بلا قلب .

چاك : بل قلت ذلك عنك أنت وفى هـذه الظروف ، وهذا شىء مختلف تماما .

الچيرنن : جائز . ولكن الفطائر هى الفطائر دون اختلاف .

(يختطف طبق الفطائر من چاك)

چاك : آلچى ! أتمنى على الله أن ترحل !

الچيرنن : ما أظنك تريدنى على أن أرحل دون أن أتناول عشاء ! هذا يكون سـخفا . ليس من عادتى البتة أن أخرج دون تناول عشائى . ما من أحد يفعل ذلك ، اللهم الا البنائين ومن على شاكلتهم. ثم انى الى جانب ذلك ، قد اتفقت مع دكتور تشوزيبل عـلى تعميدى فى الساعة السـادسة الا الربع باسم ايرنست .

جاك : يا فتاى العزيز ، كلما بادرت بالتخلى عن مثل هذا العبث ، كان ذلك خيرا لك . لقد اتفقت فى هذا الصباح مع دكتور تشوزيبل على تعميدى أنا فى الساعة الخامسة والنصف . وسيكون ذلك طبعا باسم ايرنست . ان جويندولين لا شك تود ذلك ، ولا يمكن أن يحمل كل منا اسم ايرنست . ان ذلك يكون سخفا . ثم ان لى كامل الحق فى التعميد ان رغبت . ليس هناك دليل يثبت أننى عمدت على يد آى انسان . وأرى من المرجح جدا أنه لم يسبق تعميدى . وكذلك يرى دكتور تشوزيبل . أما حالتك فتختلف اختلافا كليا . لقد تم تعميدك من قبل .

الجيرنن : نعم ، ولكننى لم أعمد منذ سنين طويلة .

جاك : نعم ، ولكنك قد سبق تعميدك وهذا هو المهم .

الجيرنن : هذا صحيح . ومن أجل ذلك فانى على يقين بأن صحتى تحتمل التعميد . فاذا أنت لم تكن متأكدا

من أنه قد سبق لك أن عمدت ، فمن واجبى أن أنبهك الى الخطر الذى تتعرض له الآن . فقد يضر التعميد بصحتك ضررا بالغا ، وما أظنك نسيت أن شخصا من أقرب الناس صلة بك ، قد حمل الى مقره الاخير فى باريس هذا الأسبوع بسبب اصابته بنازلة برد شديدة .

چاك : نعم ، ولكنك أنت نفسك قلت ان نازلة البرد العنيفة لم تكن مرضا وراثيا .

الجيرنن : أعلم أنها لم تكن كذلك ، ولكنى أقول انها أصبحت الآن وراثية . ان العلم ماض فى التقدم وادخال تحسينات رائعة على كل شيء .

چاك : (آخذا طبق الفطائر) أوه ! هذا كلام فارغ . انك لا تقول الا كلاما فارغا .

الجيرنن : چاك ! أراك تعود الى الفطائر مرة أخرى ، بودى لو أنك كففت فلم يبق منها غير فطيرتين (يسارع بأخذهما)لقد أخبرتك بأننى مولع خاصة بهذا النوع من الفطائر .

چاك : ولكننى أكره كعكة الشاى .

الچيرنن : اذن فلاى سبب فى الوجود تسمح بتقديم كعكة الشاى الى ضيوفك ؟ أية آراء هى آراؤك فى اكرام الضيف ؟!

چاك : الچيرنن ، لقد سبق أن طلبت اليك الرحيـــل . انى لا أريدك هنا . لماذا لا ترحل ؟

الچيرنن : لأننى لم أنته بعد من تناول شـــايى ، وما تزال قطعة من الفطائر باقية .

(چاك يزمجر ويتهالك على أحد المقـــاعد ·
الچيرنن ما يزال مستمرا فى الأكل ·)

(يســـدل الستار)

الفصل الثالث

المنظر

(غرفة خاصة في «مانورهاوس» . جويندولين وسيسيلي عند النافذة تطلان على الحديقة)

جويندولين : ان عدم لحاقهما بنا على الفور الى داخل البيت ، كما يفعل أي انسان آخر ، ليدل على أنه مازال بهما بقية من حياء .

سيسيلي : لقد كانا يأكلان الفطائر . ولعل هذا بمثابة الندم.

جويندولين : (بعد فترة صمت) يظهر أنهما لا يحسان بوجودنا على الاطلاق . ألا تستطيعين أن تسعلي ؟

سيسيلي : ولكن ليس بي من سعال .

جويندولين : انهما ينظران الينا . يا لقلة الحياء !

سيسيلي : انهما يدنوان . يا له من اجتراء !

جويندولين : لنعتصم بوقار الصمت .

سيسيلي : بكل تأكيد . ان الصمت هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن نفعله الآن .

(يدخل جـــاك يتبعـــه الجيرنن . وهما يصفران لحنا شعبيا شنيعا من ألحان احدى المسرحيات الغنائية «الأوبرات» البريطانية)

جويندولين : يظهر أن هذا الصمت الوقور أحدث أثرا سيئا .

سيسيلى : أثرا فى منتهى السماجة .

جويندولين : لكننا لن نكون البادئتين بالكلام .

سيسيلى : لا بكل تأكيد .

جويندولين : مستر وردنج ، لدى أمر خاص جـــدا أريد أن أسألك عنـــه . وان الكثير ليتوقف على جوابك .

سيسيلى : جويندولين انك لذات عقـل ممتــاز . مستر مونكريف ، تكرم وأجبنى على السؤال الآتى : لماذا ادعيت بأنك شقيق الوصى على ؟

الجيرنن : كى تتاح لى فرصة لقائك .

سيسيلى : (الى جويندولن) هذا ولا شك تعليـــل مرض . أليس كذلك ؟

جويندولين : نعم يا عزيزتى ، ان كان بوسعك أن تصدقيه .

سيسيلى : أنا لا أصدقه . لكن ذلك لا ينال مما فى جوابه من جمال رائع .

جويندولين : هذا حق . ففى الأمور البالغة الأهمية ، تكون العبرة بالأسلوب لا بالصدق . مستر ورذنج ، ماذا يمكن أن تقدمه لى من ايضاح عن ادعائك بأن لك شقيقا ؟ كان ذلك لكى تتاح لك فرصة التردد على المدينة ما استطعت لكى ترانى ؟

جاك : وهل يساورنك شك فى ذلك مس فيرفاكس ؟

جويندولين : بل تساورنى أخطر الشكوك فى هذا الموضوع . ولكننى معتزمة سحقها والقضاء عليها . ليس هذا أوان التشكك الذى تدعو اليه الفلسفة الألمانية (دارجة نحو سيسيلى) ان تفسيراتهما لتبدو مرضية كل الرضا ، وخاصة ماقدمه مستر ورذنج . يخيل الى أن طابع الصدق عليه .

سيسيلى : اننى أكثر من قانعة بما قال مستر مونكريف . ان صوته وحده ليبعث فى النفس التسليم المطلق بما يقول .

جويندولين : واذن فمن رأيك أن نصفح عنهما ؟

سيسيلى : نعم . أعنى لا .

جويندولين : صحيح ! لقد نسيت . فما زالت هناك مسائل معرضة للخطر ولا يمكن تنازلنا عنها . من منا تخبرهما بذلك ؟ ان المهمة غير محببة .

سيسيلي : ألا يمكن أن نتكلم نحن الاثنتين في وقت واحد ؟

جويندولين : فكرة رائعة ! انى دائما أتكلم فى الوقت نفسه الذى يتكلم فيه الآخرون . أتولى أنا اشارات الايقاع ؟

سيسيلي : بكل تأكيد .

(جويندولن ترفع سبابتها وتضبط بها الايقاع)

جويندولين وسيسيلي : (متكلمتين فى نفس الوقت) ان اسميكما ما يزالان العقبة الكئود . هذا كل مافى الأمر .

جاك والجيرنن : (متكلمين فى نفس الوقت) اسمانا ! أهذا كل مافى الأمر ؟ حسن ، اننا سيتم تعميدنا عصر هذا اليوم .

جويندولين : (لجاك) أمن أجلى أنت مقدم على هذا الشيء الفظيع ؟

چاك : انى لكذلك .

سيسيلى : (لا لجيرنن) أمن آجل ارضائى أنت راضر بمواجهة هذا الامتحان المخيف ؟

الچيرنن : انى لكذلك .

جويندولين : ما أسخف الحديث فى موضـــــوع مســــاواة الجنسين ! ان الرجال لأسبق منا فى مجـــال التضحية بالنفس .

چاك : اننا لكذلك

(يرفع يده ويد الچيرنن متشابكتين)

سيسيلى : ان لهم لحظات اقدام جســدى لا نعرف نحن النساء من أمرها شيئا على الاطلاق .

جويندولين : (لچاك) حبيبى .

الچيرنن : (لسيسيلى) حبيبتى .

(يرتمى كل بين ذراعى الآخر . يـــدخل « ميريمان » . وعندما يدخل يسعل بشدة حين رؤيته هذه الأوضاع)

ميريمان : احم ! احم ! ليدى براكنل !

چاك : والعياذ بالله !

(تدخل لیدی براكنل . ینفصل كل حبیب عن حبیبته فی انزعاج یحرج « میریمان »)

لیدی براكنل: جویندولین ! ماذا یعنی هذا ؟

جویندولین : لا یعنی غیر أننی مخطوبة للزواج من مستر ورذنج ماما .

لیدی براكنل: تعالی هنا . اجلسی . اجلسی فی الحال . ان التردد أیا كان نوعه لعلامة انحطاط عقلی عند الصغار ، وضعف بدنی عند الكبار (تستدیر لچاك) بمجرد أن علمت یا سیدی ؛ بهرب ابنتی المفاجیء من وصیفتها المؤتمنة ؛ التی شربت أمانتها بدراهم معدودات ، تبعتها علی الفور فی أحد قطارات البضاعة . ان والدها التمس مستغرق الآن — ویسعدنی أن أقول ذلك — فی توهمه أنها تحضر محاضرة أطول من المعتاد فی المنهج الاضافی فی تأثیر الدخل الثابت علی الفكر . ولیس فی نیتی أن أزیح عنه غشاوة هذا الوهم . الواقع ، أننی لم أحاول أن أظهره علی الحقیقة فی أمر من الأمور . فانی أعتبر ذلك خطأ . ولكن بالطبع ، یجب أن تفهم فی وضوح وجلاء ، أن

كل اتصـــال بينك وبين ابنتى يجب أن ينقطـع فورا ، ابتداء من هذه اللحظة . وانى على هذا — كعهدى فى ســـائر الأمور — لثابتة الرأى لا أتزحزح .

جاك : انى مرتبط بعهد للزواج من جويندولين ، ليدى براكنل !

ليدى براكنل: لست على شىء من هذا القبيـــل يا سيدى . والآن ، فيما يتعلق بألجيرنن ! .. ألجيرنن !

الجيرنن : نعم أيتها الخالة أوجستا .

ليدى براكنل: هل لى أن أسأل عما اذا كان هذا البيت هــو المثوى الذى يعيش فيه صديقك العليل : مستر بنبرى ؟

الجيرنن : (متلعثما) أوه ! كلا ! بنبرى لا يعيش هنـــا . بنبرى الآن فى مكان ما غير هــذا . الواقع أن بنبرى الآن فى عداد الأموات .

ليدى براكنل: فى عداد الأموات ! ومتى مات مستر بنبرى ؟ لا بد أن وفاته حدثت فجأة .

الجيرنن : (فى غير اهتمام) أوه ! لقــد قتلت بنبرى عصر اليوم . أعنى أن المسكين بنبرى قد مات عصر اليوم .

ليدى براكنل: وما سبب الوفاة ؟

الجيرنن : بنبرى ؟ أوه ، لقد أودى به انفجار .

ليدى براكنل: انفجار ! هل كان ضحية اعتداء ثورى ؟ ما كنت أحسب أن لمستر بنبرى شأنا فى المشاكل الاجتماعية . اذا كان كذلك ، فلقد لاقى جزاءه الحق على ميوله المريضة المنحرفة .

الجيرنن : خالتى العزيزة أوجستا . انه قد اكتشف أمره . الأطباء وجدوا أن بنبرى لا يمكنه أن يعيش . ذلك هو ما أعنى . وهكذا مات بنبرى .

ليدى براكنل: يظهر أنه كان كثير الثقة بآراء أطبائه . أنا سعيدة على أية حال بأنه قد صح عزمه أخيرا على عمل ايجابى حاسم وتصرف بحسب أوامر طبيبه . والآن وقد تخلصنا أخيرا من هذا المستر بنبرى ، هل لى أن أسأل مستر ورذنج ، من تكون تلك الشابة التى يمسك الآن يدها ابن أختى الجيرنن بطريقة خاصة لا موجب لها ؟

چاك : تلك السيدة ، هى الآنسة سيسيلى كاردو التى أنا وصى عليها .

(ليدى براكنل تنحنى لسيسيلى فى برود)

الجيرنن : اننى مرتبط بعهد للزواج من سيسيلى يا خالتى أوجستا .

ليدى براكنل: معذرة ، ماذا ؟

سيسيلى : مستر مونكريف وأنا مرتبطان بعهد للزواج ليدى براكنل .

ليدى براكنل: (فى رعدة ، عابرة الى الاريكة ، ثم تجلس عليها)
لست أدرى اذا كان يوجد على غير المألوف شىء مثير فى هواء هذا الجزء بالذات من مقاطعة « هيرتفورد شاير » . ان عدد ما يجرى هنا من خطبات يزيد زيادة ملموسة عن المتوسط الذى تسجله الاحصاءات الرسمية لحسن توجيهنا وارشادنا . أظن أن اجراء بعض الاستعلامات التمهيدية من جانبى ، لا يكون فى غير موضعه مستر ورذنج . هل لمس كاردو علاقة فى قليل أو كثير بأية محطة من محطات السكة الحديدية

الكبرى بلندن ؟ انما أقصد مجرد الاستعلام
انى حتى أمس ، لم أكن أعلم أن هناك عائلات
أو أشخاصا ينتمى أصلهم الى المحطة النهائيــه
لاحدى السكك الحديدية .

(يبدو چاك وقد استبد به الغضب . ولكنه
يتمالك نفسه)

چاك : (فى صوت واضح وبارد) مس كاردو هى حفيدة
المغفــور له مســـتر توماس كارديو رقم ١٤٩
بلجريڤ سكوير ، اس . دبليو . جيرفيز بارك ،
دوركنج ، سورى . وكذلك الاسبوران ، فايف
شاير ان بى .

ليدى براكنل: هذا غير بعيد عن المطلوب . ثلاثة عناوين تبعث
دائما على الثقة حتى فى التجــار . ولكن ماذا
يثبت لى صحتها ؟

چاك : لقد عنيت بالاحتفاظ بسجلات المحكمة عن تلك
الفترة من الزمن . وانها لرهن اطلاعك وفحصك
ليدى براكنل .

ليدى براكنل: (فى عبوس) لطالما وجدت أخطاء غريبـــة بتلك
المطبوعات .

جاك : ان محـامى عائلة مس كاردو ، هم الســادة ماركبى ، وماركبى وماركبى .

ليدى براكنل: ماركبى وماركبى وماركبى ؟ انها الشركة التى تحتل أعلى مركز فى المهنـة المتخصصة فيهـا . والواقع أننى سمعت فى الحقيقة أن أحـد آل ماركبى يرى أحيـانا ضمن المدعوين الى مآدب العشاء ، وهذا كاف كل الكفاية عندى .

جاك : (فى حدة بالغة) هذا عطف بالغ منك ليدى براكنل! ان لدى كذلك ، وهذا ولا شـك مـا يسرك سماعه ، شهادات خاصـة بمس كاردو ، عن التعميد ، والسـعال الديكى ، والتسجيـل ، والتطعيم ، والتثبيت ، والحصبة ، من الصنفين الألمانى والانجليزى .

ليدى براكنل: آه ! حياة حافلة بالأحداث على ما أرى . وان كانت قد تتجاوز الحد فى الاثارة بالنسبة لفتـاة صغيرة . انى شخصيا لا أحبذ التجارب الباكرة (تنهض وتنظر فى ساعتها) جويندولين ! لقد أزف وقت رحيلنا . لم تبق لنا لحظة واحدة نضيعها .

ومن باب استكمال الشكليات مستر ورذنج :
أرى من الحرى أن أسأل اذا كانت مس كاردو
تملك بعض الثروة ؟

چاك : أوه ! تملك حوالى المائة والثلاثين ألف جنيه
سندات . هذا كل ما تملك . والى اللقاء ليدى
براكنل . لكم سعدت برؤيتك .

ليدى براكنل (معاودة الجلوس مرة أخرى) لحظة ، مستر ورذنج.
ماية وثلاثون ألف جنيه سندات حكومية ! ان
مس كاردو لتبدو فى نظرى الآن أكثر بنات
جنسها جاذبية . قليلات من بنات اليوم من لهن
أية خصال متينة ، الخصال التى تبقى وتزداد
حسنا . على الأيام . اننا نعيش ، ويؤسفنى أن
أقول ذلك ، فى جيل سطحى (لسيسيلى) تعالى هنا
يا عزيزتى (تعبر سيسيلى اليها) يا للبنية الجميلة !
ان ملابسك بسيطة بساطة محزنة ، وشعرك
يكاد من قلة تعهده يبدو كما خلقته الطبيعة .
ولكن لا بأس ، فما أسرع ما نستطيع تغيير ذلك
كله . ان وصيفة فرنسية ذات خبرة ، لخليقة بأن

تحقق نتيجة رائعـة فى أقصر فترة من الوقت
أذكر أننى زكيت واحدة من هذا الصنف لدى
ليدى لانسنج الصغيرة ، فاذا هى بعـد ثلاثة
شهور قد أصبحت لا يكاد يعرفها زوجهـا
نفسه .

جاك : وبعد ستة أشهر لم يعرفها أحد .

ليدى براكنل : (تنظر فى غضب الى جاك لبضع لحظات ، ثم تقبل على سيسيلى مبتسمة ابتسامتها المعهودة)
تفضـلى فاستديرى يا حـلوتى الصغـيرة
(سيسيلى تستدير استدارة كاملة) لا . القطاع
الجانبى هو ما أبغى (سيسيلى تعرض لها جانبها)
نعـم تمـاما . كمـا توقعت . توجـد
امكانيات اجتماعية بارزة فى قطاعك الجانبى .
ان نقطتى الضـعف اللتين يتسم بهما عصرنا ،
هما افتقاره الى المبدأ ، وافتقاره الى القطـاع
الجانبى . ارفعى ذقنك قليـلا يا عزيزتى . ان
الأسلوب كله انما يقوم على الوضع الذى تكون
عليه الذقن . ان الوضع المختار فى هذا العصر .
هو الارتفاع بها كثيرا . الجيرنن !

الچيرنن : نعم يا خالة أوجستا !

ليدى براكنل: توجد امكانيات اجتماعية بارزة فى القطاع الجانبى لمس كاردو

الچيرنن : ان سيسيلى هى أعذب وأغلى وأجمل فتاة فى العالم كله . وأنا لا أحفل فتيلا بالامكانيات الاجتماعية .

ليدى براكنل: اياك أن تتحدث عن المجتمع باستخفاف الچيرنن. العاجزون عن الدخول فى نطاقه هم وحدهم الذين يفعلون ذلك (لسيسيلى) أيتها البنية العزيزة ، أنت بالطبع تعلمين أن الچيرنن ليس له مال يعتمد عليه غير ديونه . بيد أننى لا أقر قيام الزواج على أساس مادى . عندما تزوجت لورد براكنل ، لم أكن أمتلك شيئا من أى نوع كان . ومع ذلك لم يخطر فى وهمى لحظة أن أدع ذلك يقف حائلا فى سبيلى . وعلى ذلك ، أرى من واجبى أن أعلن قبولى .

الچيرنن : شكرا لك يا خالة أوجستا .

ليدى براكنل: أعتقد أن من الأفضل أن يتم الزواج بأسرع ما يمكن .

الچيرنن : شكرا لك يا خالتى أوجستا .

سيسيلى : شكرا لك يا خالتى أوجستا .

ليدى براكنل: لأتكلم بصراحة أقول اننى لا أحبـذ الخطبات الطويلة الأمد . فانها تتيح للنـاس الفرصـة ليستكشف كل من الخطيبين حقيقة خلق الآخر قبل الزواج ، وهو أمر ليس من الصـواب فى شىء على ما أعتقد .

چاك : أرجو أن تغفرى مقاطعتى اياك ليدى براكنل ، ان هذه الخطبة فى الواقع أمر غير ذى موضوع. اننى الوصى على مس كاردو ، وهى لا تستطيع الزواج بغير موافقتى حتى تتجاوز سن الرشد . وانى لأرفض أن أمنح تلك الموافقة رفضا باتا .

ليدى براكنل: وعلى أى أساس ترفض اذا سمحت لى بالسؤال؟ ان كل مافى الچيرنن ليجعـله الى أبعـد حـد الفتى المنشود . انه لا يملك شيئا ، ولكن فى مظهره كل شىء . فهل تشتهى النفس أكثر من ذلك ؟

چاك : انه ليؤلمنى أشد الألم أن أضطر الى التكلم معك

بصراحة ليدى براكنل عن ابن أختك ، ولكن الحقيقة الواقعة هى أننى غير راض البتة عن أخلاقه . انى أرتاب فى استقامته ووفائه .

(الجيرنن وسيسيلى ينظران اليه فى دهشة ونقمة)

ليدى براكنل: ترتاب فى استقامته ووفائه ! ابن أختى الجيرنن؟ هذا محال ! انه عضو فى جامعة أوكسفورد .

جاك : أعتقد أنه ليس هناك أدنى شك فى ذلك . بعد ظهر اليوم ، وفى أثناء غيبتى القصيرة بلندن فى مسألة عاطفية هامة ، استطاع باحتياله وافترائه على الكذب بأنه أخى ، أن يؤذن له فى دخول بيتى . استطاع تحت اسم مستعار — وقد أخبرنى — ساقى بذلك توا — أن يشرب زجاجة كاملة تزن أرطالا ، ماركة بيربيه جوييه برات ٨٩ ، وهى من النبيذ المعتق الذى كنت محتفظا به خصيصا لنفسى . وباستمراره فى خداعه وختله ، نجح فى غضون ما بعد الظهر ، فى تحويل عواطف القاصر التى أقصر عليها رعايتى .ثم أتبع ذلك بجلوسه الى الشاى حيث

التهم كل شرائح الفطير . ومما يجعل تصرفه تصرف من لا قلب له ، أنه كان على علم تام من أول الأمر بأنه ليس لى أخ ، وأنه لم يحدث يوما أن كان لى أخ ، وأننى لا أنتوى أن يكون لى أخ مهما يكن نوعه . لقد أوضحت له ذلك بنفسى بالأمس بعد الظهر .

ليدى براكنل: أحم ! مستر وردنج ، اننى بعد الروية وامعان النظر فى الأمر ، قررت أن أتغاضى عما بدر من ابن أختى نحوك .

جاك : ان ذلك لمن فيض كرمك ليدى براكنل ، ومع ذلك فان قرارى هو هو ولن يتغير . انى أرفض ابداء الموافقة .

ليدى براكنل: « سيسيلى » تعالى هنا أيتها البنية الحلوة (سيسيلى تذهب اليها) كم تبلغين من العمر يا عزيزتى ؟

سيسيلى : أنا فى الحقيقة لم أجاوز الثامنة عشرة ، ولكننى دائما ما أسلم أننى فى العشرين عندما أذهب الى الحفلات الساهرة .

ليدى براكنل: انك لعلى صواب تام فى اجرائك مثل هذا التغيير الطفيف . فى الحقيقة ، لا ينبغى لأية امرأة أن تدقق فى توخى الصدق فيما يتعلق بسنها . ان ذلك ليبدو عملية حساب عسيرة !

(فى شبه تأمل وتفكير) فى الثامنة عشرة وتسلم بأنها فى العشرين فى الحفلات الساهرة . حسن ، ليس بينك وبين بلوغك سن الرشد وتخليصك من قيود الوصاية وقت طويل ، وعلى هذا ، أعتقد أن موافقة الوصى عليك لم يعد لها أدنى أهمية .

جاك : أرجو المعذرة ليدى براكنل على مقاطعتى اياك مرة أخرى ، ولكن من المناسب أن أخبرك أن مس كاردو بمقتضى ما نصت عليه وصية جدها ، لن تعتبر بالغة الرشد الا فى الخامسة والثلاثين .

ليدى براكنل: وذلك لا يبدو لى عقبة كئودا . الخامسة والثلاثون سن جذابة جدا . ان المجتمع فى لندن حافل بأكرم العقائل اللائى اخترن لأنفسهن

بمحض ارادتهن البقـــاء على سن الخامســة والثلاثين لسنوات عديدة . وخير مثال على ذلك ليدى ماولتن . فانى أذكر أنها منــذ أن بلغت الأربعين وقد مضى على ذلك سنوات ، وهى فى الخامسة والثلاثين . وأنا لا أرى ثمــة ما يمنع سيسيلى مــن أن تصــبح فى تلك السن التى ذكرتها ، أكثر جاذبيــة منها الآن . اذ سيكون ما يخصها قد تضاعف وقتئذ .

سيسيلى : آلچى ! أتستطيع انتظارى حتى أبلغ الخامسة والثلاثين ؟

الچيرنن : بالطبــع أستطيــع ذلك سيسيلى ، تعلمين أننى أستطيع ؟

سيسيلى : نعم ، بل أحس ذلك بسليقتى ، ولكننى لا أستطيع الانتظار طوال ذلك الوقت ؟ انى أكره أن أظل ولو خمس دقائق فى انتظار أحــــد ، ان ذلك يجعلنى دائما أقرب ما أكون الى الاســـتياء والنقمـــة . أعلم أننى لست ممن يدققون فى المحافظة على المواعيد ، ولكنى أحب المحافظـة

عليها من الآخرين ، ومن ثم فان كل انتظار عندى ولو كان انتظارا للزواج ، لأمر مرفوض دون نظر أو جدل .

الچيرنن : اذن فما الذى يجب عمله سيسيلى ؟

سيسيلى : لست أعلم مستر مونكريف .

ليدى براكنل: عزيزى مستر وردنج ، بما أن مس سيسيلى تعلن مقررة بصفة قاطعة أنها لا تستطيع الانتظار حتى تبلغ الخامسة والثلاثين — وأرانى مضطرة للقول بأن ذلك منها علامة على تعجل متأصل فى طبيعتها — فانى لأرجو منك أن تعيد النظر فيما قررت .

جاك : ولكن يا عزيزتى ليدى براكنل ، الأمر كله فى يديك أنت . فى اللحظة التى توافقين فيها على زواجى من جويندولين ، أسمح بكل سرور لابن أختك بالارتباط بالفتاة التى هى تحت وصايتى .

ليدى براكنل: (ناهضة وهى تنصب قامتها) يجب أن تكون على يقين بأن ما تعرضه أمر مرفوض دون نظر او جدل .

چاك : اذن فليس أمام كل منا غير عزوبة مستهامة .

ليدى براكنل: ليست هذه هى النهاية التى أبتغيها لجويندولين. آلجيرنن ، بالطبع ، يستطيع أن يختار لنفسه ما شاء (تخرج ساعتها) تعالى يا عزيزتى (جويندولين تنهض) لقد فاتنا حتى الآن خمسة قطارات ان لم تكن ستة ، اذا ما فاتنا أى قطار بعد ذلك ، فقد تتعرض الى اتخاذ رصيف المحطة منصة نكمل عليها تعليقاتنا .

(يدخل دكتور تشوزيبل)

تشوزيبل : كل شيء معد تماما لاجراء التعميدات .

ليدى براكنل: التعميدات ، يا سيدى ! أو ليس ذلك سابقا لأوانه بعض الشيء ؟

شوزيبل : (يبدو أقرب ما يكون الى الحيرة ثم مشيرا الى چاك والچيرنن)

كلا السيدين أبديا رغبة فى اجراء تعميدهما على الفور .

ليدى براكنل: فى مثل عمرهما ؟ انه لأمر غريب مضحك ، ثم انه مخالف للدين ! الچيرنن ، انى أمنعك من أن

تعمد . ما كنت أتصور مثل هذا الشطط . لورد براكنل سيستاء أشـد الاستياء اذا ترامى الى علمه أن تلك كانت طريقتك فى تضييع وقتـك ومالك .

شوزيبل : هل لى أن أفهم اذن أنه لا مراسم تعميـد على الاطلاق فى هذا المساء ؟

جاك : لا أعتقد والحال على ما هى عليه ، أن للتعميد أية قيمة عملية لأحد منا دكتور تشوزيبل

شوزيبل : يحزننى أن أسمع منك مثل هذه الخواطر مستر وردنج . ان لهـا طعم تعاليم ونظريات غير المؤمنين بوجوب المعمودية ، تلك النظريات التى ضحدتها فى أربع من مواعظى غير المنشـوره بيد أنه لما كانت حالتك الآن تبدو بعيـدة عن الدين على صـورة غريبـة ، فانى عائد الى الكنيسة فورا . والواقع أننى أبلغت من خادم الكنيسة أن مس پرزم تنتظرنى فى غرفة ملابسى الكهنوتية منذ ساعة ونصف .

ليدى براكنل : (منتفضة) مس پرزم ! هـل سمعتك تذكر اسم مس برزم ؟

تشوزبل : نعم : ليدى براكنل ، وانى لفى طريقى اليها .

ليدى براكنل: اسمح لى ان أؤخرك قليلا ان تكرمت . فلقد يكون فى هذا الأمر شيء له أهميته الحيوية للورد براكنل ولى . هل مس پرزم هذه ، أنثى منفرة الطلعة تتمسح بالتربية ؟

تشوزبل : (غاضبا بعض الشيء) انها أكثر السيدات تربية وتهذيبا ، وانها لمثال حى لاحترام النفس .

ليدى براكنل: لقد أصبح واضحا أنها هى من أعنى . الى أن أسأل ما هو وضعها وصفتها فى بيتك ؟

تشوزبل : (بشدة) اننى رجل أعزب يا سيدتى .

چاك : (متداخلا بينهما) مس پرزم ، ليدى براكنل ، أمضت السنوات الثلاث الأخيرة مربية مس كاردو المبجلة ، ورائدتها المقدرة .

ليدى براكنل: على الرغم من كل ما أسمع عنها ، فلا بد لى أن أراها حالا . أرسلوا فى طلبها

تشوزبل : (ناظرا الى الخارج)ما هى ذى قادمة . انها على قيد خطوة منا .

(تدخل مس پرزم)

مس برزم : قيل لى انك وددت لو تلقانى فى غرفة ملابسك الكهنوتية ، فظللت أنتظرك فيها ساعة وثلاثة أرباع الساعة .

(يقع بصرها على ليدى براكنل التى راحت تحملق فيها بعين شاخصة جامدة · مس برزم يمتقع لونها وتتراجع فى خوف · تتلفت حواليها فى قلق كما لو كانت تبحث لها عن مهرب)

ليدى براكنل : (فى صوت المحقق القاسى) برزم ! (مس برزم تحنى رأسها فى خجل) تعالى هنا برزم . (مس برزم تقترب فى ذلة) برزم ! أين ذلك الطفل ؟

(الجميع فى دهشة وذعر · يجفل القس فزعا · الجيرنن وجاك يتظاهران بحماية سيسيلى وجويندولن من سماع تفاصيل فضيحة شنيعة علنية)

منذ ثمانية وعشرين عاما مضت « برزم » خرجت من بيت لورد براكنل رقم ١٠٤ فى أول شارع « جروزفنر » ، وكان موكولا اليك عربة أطفال فيها طفل ذكر . ولم تعودى أبدا . وبعد أسابيع قليلة ، وعن طريق ما أجراه بوليس العاصمة من المباحث الدقيقة البارعة ، عثر على

عربة الطفل فى منتصف الليل متروكة وحدها ؛
فى ركن قصى فى « بيزووتر » وكان بالعربة
مخطوط لقصة من ثلاثة أجزاء ، ذات نزعة مفرطة
فى العاطفية الى حد منكر .

(مس برزم تنتفض انتفاضة غضب لا ارادى)

ولكن الطفل لم يكن فى العربة .

(الجميع يتجهون بأبصارهم الى مس برزم)

برزم ! أين ذلك الطفل ؟ (فترة صمت)

مس برزم : ليدى براكنل ، أقر وأنا شديدة الخجل أنى لا أعرف . وليتنى عرفت . وهذه هى حقائق الواقعة بكل بساطة . فى صبيحة ذلك اليوم الذى ذكرته ، اليوم الذى سيظل مدى الدهر مطبوعا فى ذاكرتى بميسم من نار، أعددت العدة للخروج بالطفل فى عربته كالمعتاد . وأخذت معى أيضا حقيبة يد قديمة كبيرة رحيبة . أخذتها بقصد أن أضع فيها المؤلف المخطوط الذى كنت قد كتبته فى ساعات فراغى القلائل . وفى سبحة من سبحات الفكر الشارد التى لا أغتفرها لنفسى

أبدا ، وضعت المخطوط فى عربة الطفل ، والطفل فى الحقيبة .

چاك : (الذى كان يستمع بانتباه زائد) ولكن أين وضعت الحقيبة ؟

مس پرزم : أعفنى مستر ورذنج ولا تسلنى .

چاك : مس پرزم ، هذا أمر ليس بالقليل الشأن عندى. انى أصر على أن أعرف أين وضعت حقيبة اليد . التى كان بها ذلك الطفل .

مس پرزم : أودعتها غرفة الأمانات باحدى محطات السكة الحديدية الكبرى بلندن .

چاك : أية محطة ؟

مس پرزم : (محطمة تماما) محطة فكتوريا خط براينون (تتهالك على أحد المقاعد)

چاك : يجب أن آوى الى حجرتى لحظة واحدة جويندولين ، ابقى فى انتظارى هنا .

جويندولين : ان لم يطل غيابك ، فانى سأنتظرك هنا طوال عمرى .

(يخرج چاك فى انفعال شديد)

تشوزيبل : ما معنى هذا فى نظرك ليدى براكنل ؟

ليدى براكنل: أنا لا أستطيع حتى مجرد التخمين دكتور تشوزيبل . لا أحسبنى بحاجة أن أخبرك بأنه فى الأسر الراقية ، لا يكون من المتوقع أن يتفق حدوث مثل هذه المصادفات الغريبة . انها لا يمكن ادخالها فى الاعتبار .

(اصوات صاخبة تسمع من فوق كما لو كان أحد يلقى بحقائب سفر كبيرة هنا وهناك . الجميع ينظرون الى أعلى)

سيسيلى : العم جاك يبدو مهتاجا على نحو غريب .

تشوزيبل : ان للوصى عليك طبيعة سريعة التأثر والانفعال .

ليدى براكنل: هذه الضجة غاية فى الازعاج . انها لترن فى الأذن كأنها جدل عنيف . اننى أكره الجدل أيا كان نوعه ، لأنه دائما مبتذل سوقى ، وفى أغلب الأمر مقنع .

تشوزيبل : (ناظرا الى أعلى) لقد توقفت الضجة الآن .

(الضجة تتضاعف)

ليدى براكنل: أتمنى أن ينتهى الى نتيجة .

جويندولين : هذا الترقب فظيع ، أتمنى لو يدوم .

(يدخل چاك وفى يده حقيبة اليد المصنوعة من الجلد الأسود)

چاك : (مندفعا صوب مس پرزم)أهذه هى الحقيبة مس پرزم ؟ تفحصيها جيدا قبل أن تكلمى . ان سعادة أكثر من نفس واحدة تتوقف على اجابتك .

مس پرزم : (فى هدوء) الظاهر أنها حقيبتى . نعم ، فهذا أثر التلف الذى لحق بها فى حادث انقلاب الأومنيبس بشارع «جوور» فى أول أيام صباى وأسعدها . وهنا على البطانة بقعة من أثر انفجار زجاجة كان بها مشروب من المشروبات الكحولية . لقد حدث ذلك فى « ليامنجتن » ، وهنا على القفل تجد الحروف الأولى من اسمى . لقد نسيت أننى فى نوبة من نوبات البذخ كنت قد أوصيت بنقشها هناك . الحقيبة بلا شك حقيبتى . لكم يسعدنى أن ترد الى على غير انتظار منى لذلك . لقد كان يضايقنى بقائى كل تلك السنوات بدونها .

چاك : (فى صوت مؤثر) مس پرزم ، ولقد رد اليك ماهو أعظم من حقيبة اليد . لقد كنت أنا الطفل الذى وضعته فيها .

مس پرزم : (فى دعشة) أنت ؟

چاك : (معانقا اياها) نعم ... يا أمى .

مس پرزم : (مرتدة فى دعشة غاضبة) مستر ورذنج ، انى لم أتزوج !

چاك : لم تتزوجى ! أنا لا أنكر أنها ضربة شـــديدة . ولكن على أية حال ، من ذا الذى يحـــق له أن يرمى بحجر مخطئا قاسى وتعذب ، أولا يستطيع الندم أن يغسل آثار فعلة طائشة ، لماذا يكون للرجال قانون ، وللنساء قانون آخر ؟ أماه ، انى أغفر لك .

(يحاول معانقتها ثانية)

مس پرزم : (يشتد بها الغضب) مستر ورذنج ، هناك بعض الخطأ (مشيرة الى ليدى براكنل)هاهى ذى السيادة الفاضلة التى تستطيع أن تخبرك من تكون فى حقيقة الأمر .

چاك : (بعد فترة من الصمت) ليدى براكنل ، انى لأكره أن أكون محققا شديد الفضول ، هل لك فى أن تتكرمى باخبارى من أنا ؟

ليدى براكنل: انى لأخشى أن الأنباء التى تحملنى على الافضاء بها اليك قد لا تسرك تمـاما . انك ابن أختى المسكينة مسز مونكريف ، وبالتـالى فانك الأخ الأكبر لألجيرنن .

چاك : الأخ الأكبر لآلچى ! اذن فقد أصبح لى أخ آخر الأمر . كنت أحس أن لى أخا ! كنت أقول دائما ان لى أخـا ! سيسيلى ، — أنى كان لك أن تشـكى يوما من الأيام أن لى أخـا !

(يمسك بتلابيب ألچيرنن)

دكتور تشوزيبل ، هذا هو أخى المنكود الحظ مس پرزم ، هـذا هـو أخى المنكود الحظ جويندولين ، هـذا هو أخى المنكود الحظ آلچى أيها الوغد الصغير : ان عليك أن تكون أكثر احتراما لى فى المستقبل . انك لم تعاملنى معاملة الأخ لأخيه يوما واحدا فى كل حياتك .

الجيرنن : أقر بأنني لم أفعل ذلك حقا قبل اليوم أيها الصديق القديم . ومع ذلك فقد بذلت غاية جهدى على الرغم من عدم خبرتى .

(يصافحه)

جويندولين : (الى چاك) يا حبيبى ! .. ولكن أى حبيب أنت؟ ما اسمك الآن وقد تبين أنك شخص آخر ؟

چاك : أيتها السماوات الرحيمة ! ... كنت قد نسيت تماما تلك المسألة . ان قرارك الذى اتخذته فى موضوع اسمى لا سبيل الى تغييره فيما أظن ؟

جويندولين : أنا لا يتغير فى شىء البتة ، الا عواطفى .

سيسيلى : أية طبيعة نبيلة هى طبيعتك يا جويندولين !

چاك : اذن فالأحرى أن توضح المسألة على الفور . أيتها الخالة أوجستا ، لحظة . عندما تركتنى مس برزم فى حقيبة اليد ، أكنت قد سبق لى أن عمدت ؟

ليدى براكنل: كل ما يمكن شراؤه بالمال من الكماليات المترفة بما فيها التعميد ، كان يغدقه عليك والداك المجنونان بحبك .

چاك : اذن فلقد عمدت ! وحسم الأمر . والآن فبأى اسم من الأسماء سميت ؟ هات شر ما عندك .

ليدى براكنل: بصفتك الابن الأكبر ، فقد عمدت باسم أبيك .

چاك : (بحدة) نعم ، ولكن ماذا كان اسم أبى ؟

ليدى براكنل: (بترو وتامل) لا أتذكر فى هذه اللحظة ، ماذا كان الاسم الأول لأبيك الچنرال . ولكن ليس عندى أى شك فى أنه كان مسمى باسم ما . أقرر أنه كان غريب الأطوار . ولكن ذلك كان فى سنواته الأخيرة . كان ذلك من جراء جو الهند ، والزواج ، وسوء الهضم ، وما شاكل ذلك .

چاك : آلچى ! أولا تستطيع أن تتذكر أنت ماذا كان اسم أبينا ؟

الچيرنن : يا فتاى العزيز ، لم يكن بيننا علاقة كلام على الاطلاق . فلقد مات قبل أن أتم العام الأول من عمرى .

چاك : لا بد وأن أسمه مدرج فى قوائم الجيش لذلك الحين فيما أعتقد أينها الخالة أوجستا ؟

ليدى براكنل: لقد كان الجنرال بصميم طبيعته رجلا مسالما الا فى حياته الزوجية . ولكن ما من شك عندى فى أن اسمه لا بد أن يكون مسجلا فى دليل مطبوع ضمن المطبوعات العسكرية .

جاك : ان قوائم الجيش عن الأربعين سنة الأخيرة موجودة لدى . هذه السجلات الشائعة كان يجب أن تكون شغلى الشاغل .

(يندفع نحو رف الكتب ، ويستخرج كتبا يأخذ فى فضها)

السادة الجنرالات ... «مالام» ، «ماكسبوهم» ، « ما جليى » ، أية أسماء منكرة هى أسماؤهم — « ماركبى » ، « مجزبى » ، « مبز » ، « مونكريف » ! لفتنانت عام ١٨٤٠ ، كابتن ، لفتنانت كولونيل ، كولونيل ، چنرال ١٨٦٩ ، وأسماؤهم الأولى ، « ارنست جون » .

(يضع الكتاب جانبا فى منتهى الهدوء ، ويتكلم بكل السكينة) كنت دائما أقول لك يا جويندولين ان اسمى هو « ارنست » ، أو لم

أفعل ذلك ؟ حسن ، فلقد ظهر آخر
بالفعل « ايرست » ، أقصد أنه بطبيعة ،
« ايرنست » .

ليدى براكنل: نعم ، انى أتذكر الآن أن الچنرال كان يدء « ايرنست » . ولقد كان لدى من الأسباب ما يبرر كرهى لهذا الاسم .

جويندولين : ايرنست ! يا ايرنستى أنا ! كنت أحس من أول الأمر انه لا يمكن أن يكون لك اسم آخر غير « ايرنست » !

چاك : جويندولين ، انه لشىء فظيع أن يكتشف المرء فجأة أنه طوال حياته لم يقل شيئا غير الصدق . أو تستطيعين أن تغفرى لى ذلك ؟

جويندولين : أجل أستطيع . لأننى أشعر انك حتما سوف تتغير .

چاك : يا حبيبتى الوحيدة !

تشوزبل : (مخاطبا مس برزم) ليتيتيا ! (يعانقها)

مس بريزم : (فى حماسة بالغة) فريدريك ! أخيرا !

الجيرنن : سيسيلى ! (يعانقها) . أخيرا !

چاك : جويندولين ! (يعانقها) أخيرا !

ليدى براكنل: يا ابن أختى ، انك تبدو لى وكأنمـا قد بدأت تظهر عليك أعراض الفتى العابث .

چاك : على العكس يا خالتى أوجستا ، بل اننى الآن قد أدركت لأول مرة فى حياتى الأهمية الحيوية فى أن يكون الانسان جادا ، « ايرنست »

ستار ختام المسرحية